

الغزل في شعر الوأء الدمشقي

عبد الخالق عيسى ومحمد يامين*

تلخيص:

تُعَالِجُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ فَنَّ الغَزَلِ فِي النِّتَاجِ الشُّعْرِيِّ لِلشَّاعِرِ العَبَّاسِيِّ الوَأءِ الدِّمَشْقِيِّ، وَقَدْ قَصَدَتْ إِلَى تَحْلِيلِ غَزَلِيَّاتِهِ وَبَيَانِ اتِّجَاهَاتِهَا وَمَضَامِينِهَا، حَيْثُ خَلَصَتْ إِلَى أَنَّهُ كَانَ شَاعِرًا غَزَلًا، فَأَكْثَرَ دِيَوَانِهِ غَزَلَ، وَبَيَّنَّتْ أَنَّهُ تَجَادَبَهُ فِي غَزَلِيَّاتِهِ اتِّجَاهَانِ، هُمَا: الغَزَلُ المَعْنَوِيُّ العَفِيفُ، وَفِيهِ يُصَوِّرُ مَشَاعِرَهُ المُلْتَهَبَةَ وَعَوَاطِفَهُ الحَرَاقَةَ وَمَا لِلحُبِّ وَالهِيَامِ مِنْ تَأْثِيرٍ فِي نَفْسِهِ، وَالغَزَلُ الحِسِّيُّ بِنَوْعِهِ: الحِسِّيِّ الفَاحِشِ الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى سَرْدٍ لِقِصَصِ حِسِّيَّةٍ فَاضِحَةٍ وَمُعَامِرَاتٍ حِسِّيَّةٍ مُهَيَّبَةٍ مَعَ المَحْبُوبَةِ، وَالغَزَلُ الحِسِّيِّ غَيْرِ الفَاحِشِ الَّذِي يَصِفُ المَحْبُوبَةَ وَصِفًا مَادِّيًّا وَيُصَوِّرُ مَفَانِينَ حَسِيدِيهَا مِنْ غَيْرِ الوُصُولِ إِلَى مَرَحَلَةِ التَّهْتِكِ وَالحَلَاعَةِ وَالإِسْفَافِ الَّتِي تَخْدِشُ الحَيَاءَ العَامَ.

يُعَدُّ الغَزَلُ أَحَدَ الأَغْرَاضِ الشُّعْرِيَّةِ الأَسَاسِيَّةِ الأَصِيلَةِ فِي الأَدَبِ العَرَبِيِّ فِي مُخْتَلَفِ العُصُورِ وَالأَزْمَانِ، وَهُوَ مِنْ أقدَمِهَا وَأَكْثَرِهَا شِيعُوا لَاتِصَالِهِ الوَثِيقِ بِالطَّبِيعَةِ الإِنْسَانِيَّةِ، وَهُوَ "قَرِيبٌ مِنَ النَفُوسِ، لَانْتِطُّ بِالقُلُوبِ، لِمَا جَعَلَ اللهُ فِي تَرْكِيبِ العِبَادِ مِنْ مَحَبَّةِ الغَزْلِ، وَإِلْفِ النِّسَاءِ، فَلَيْسَ يَكَادُ حَدٌّ يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقًا مِنْهُ بِسَبَبٍ، وَضَارِبًا فِيهِ بِسَهْمٍ، حَلَالٌ أَوْ حَرَامٌ"¹، وَلِهَذَا فَقَدْ تَعَدَّدَ شُعْرَاؤُهُ وَكَثُرُوا كَثْرَةً مُفْرِطَةً، حَيْثُ يُمَكِّنُنَا القَوْلُ إِنَّ مُعْظَمَ الشُّعْرَاءِ العَرَبِ طَرَفُوا هَذَا الغَرَضَ القَلْبِيَّ وَنَظَّمُوا فِيهِ الكَثِيرَ مِنَ الأَشْعَارِ.

وَمِنْ بَيْنِ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ اشْتَبَرُوا بِالغَزَلِ وَأَكْثَرُوا مِنْهُ الوَأءُ الدِّمَشْقِيُّ، إِذْ إِنَّ أَكْثَرَ دِيَوَانِهِ غَزَلَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ حَيَاتَهُ كُلَّهَا فِيهَا نَعْتَقِدُ²، وَقَدْ تَمَيَّزَ الدِّمَشْقِيُّ وَأَبْدَعَ فِي هَذَا الصَّنِإِ إِبداعاً كَبِيراً، الأَمْرُ الَّذِي دَفَعَ مُصْطَفَى الشُّكْعَةَ إِلَى تَتَوَجُّهِ أَميراً لِلغَزَلِ الرَّقِيقِ عَلَى شُعْرَاءِ بَنِي حَمْدَانَ³؛ لِأَنَّ "مَذْهَبَهُ جَمَالَ كَلِهِ، وَرَقَّةً مُتَنَاهِيَةً"⁴، كَمَا أَنَّ سَعُودَ عَبْدِ الجَابِرِ جَعَلَهُ إِمَاماً لِلشُّعْرَاءِ الغَزَلِيِّينَ فِي بِلَاطِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الحَمْدَانِيَّةِ⁵.

* جامعة النجاح الوطنية – نابلس.

¹ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء، بيروت: دار الثقافة، 1964، 21/1.

² يُنظر: الوأء: ديوانه، مقدمة المحقق، ص26.

³ يُنظر: الشكعة، مصطفى: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، ص234-235.

⁴ المرجع السابق، ص235.

⁵ يُنظر: عبد الجابر، سعود محمود: الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني، ص245.

وَإِذَا مَا أَلْقِينَا نَظْرَةً فَاحِصَةً مُمَجَّصَةً فِي غَزَلِهِ فَإِنَّا نَجِدُ أَنَّ مِنْهُ مَا جَاءَ عَلَى هَيْئَةِ قِصَائِدِ مُسْتَقَلَّةٍ، وَمِنْهُ مَا جَاءَ عَلَى صُورَةِ مَقْطُوعَاتٍ قَصِيرَةٍ وَطَوِيلَةٍ، وَمِنْهُ مَا صُدِّرَتْ فِيهِ قِصَائِدُهُ غَيْرُ الْغَزَلِيَّةِ، وَتَتَمَثَّلُ فِي قِصَائِدِ الْمَدِيحِ وَالْخَمْرِ وَوَصْفِ الطَّبِيعَةِ، وَهُوَ مَا يُعْرَفُ بِالْغَزَلِ التَّقْلِيدِيِّ، وَقَدْ أُطْلِقَ عَلَيْهِ هَذَا الْمَصْطَلَحُ؛ لِأَنَّ اسْتِهْلَالَ الْقِصَائِدِ - عَلَى اخْتِلَافِ مَوْضُوعَاتِهَا وَأَعْرَاضِهَا - بِالْغَزَلِ تَقْلِيدٌ سَارَ عَلَيْهِ الشُّعْرَاءُ الْعَرَبُ فِي عُصُورِهِمِ الْأَدَبِيَّةِ، إِلَى حَدِّ أَنَّهُمْ كَانُوا فِيهِ يُطْلِقُونَ عَلَى الْقَصِيدَةِ الَّتِي تَخْلُو مِنَ الْمُقَدِّمَةِ الْغَزَلِيَّةِ مُصْطَلَحَ الْقَصِيدَةِ الْبَثْرَاءِ، قِيَاسًا عَلَى الْخُطْبَةِ الْبَثْرَاءِ الَّتِي لَا تَبْدَأُ بِحَمْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ¹، لِذَلِكَ فَهَذَا النَّوْعُ غَالِبًا مَا يَكُونُ غَزَلًا صِنَاعِيًّا مُتَكَلِّفًا لَا أَثْرَ فِيهِ لِعَاطِفَةِ الْحُبِّ الصَّادِقَةِ، وَحِرَازَةِ الْجَوْى الَّذِي يُذِيبُ النَّفْسَ شَوْقًا وَحَنِينًا.

وَمِنَ الْمُلَاحِظِ أَنَّ الْوَأَاءَ لَمْ يَتَغَزَّلْ بِفَتَاةٍ مُحَدَّدَةٍ بِعَيْنِهَا، حَيْثُ إِنَّهُ لَمْ تَذْكَرْ كُنُوبُ النَّارِخِ وَالنَّارِجِمِ أَخْبَارًا لَهُ مَعَ فَتَاةٍ مُعَيَّنَةٍ يَعِشَقُهَا، وَلَمْ يُضَمِّنْ شِعْرَهُ الْغَزَلِيَّ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ عَلَى ذِكْرِ أَسْمَاءٍ مِنْ تَغَزَّلَ بِهِنَّ، وَلَمْ يَذْكَرْ أَيَّةَ قَرِينَةٍ تَدُلُّ عَلَى شَخْصِيَّاتِهِنَّ، وَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ جَفَازًا عَلَى سَمْعِهِنَّ مِنْ أَنْ تُدَنَسَ أَوْ تُهَانَ، وَخَوْفًا مِنْ أَنْ يَشْتَهَرَ أَمْرُهُ مَعَهُنَّ بَيْنَ النَّاسِ، غَيْرَ أَنَّ طَبِيعَةَ الْحَيَاةِ الْأَلَهِيَّةِ الْمَاجِنَةَ الْفَاسِقَةَ الَّتِي كَانَ الْوَأَاءُ يَحْيَاهَا تَجْعَلُ هَذَا التَّعْلِيلَ مُسْتَبْعَدًا، وَتَقْوَدُنَا إِلَى تَفْسِيرٍ آخَرَ يَخْتَلِفُ عَنِ الْأَوَّلِ اخْتِلَافًا جَذْرِيًّا، وَيَتَمَثَّلُ فِي أَنَّ عِشْقَهُ لِلنِّسَاءِ اللَّوَاتِي تَغَزَّلَ بِهِنَّ لَمْ يَكُنْ - فِي الْأَعْمِ الْأَعْلَى - عِشْقًا حَقِيقِيًّا صَادِقًا نَابِعًا مِنْ أَعْمَاقِ نَفْسِهِ، وَإِنَّمَا كَانَ تَسْلِيَّةً وَتَرْجِيَةً فَرَاحَ، وَشَهْوَةً طَارِئَةً وَنَزْوَةً عَابِرَةً يَقْضِيهَا مَعَ الْإِمَاءِ وَالْجَوَارِي اللَّوَاتِي انْتَشَرْنَ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ انْتِشَارًا كَبِيرًا، وَاشْتَهَرْنَ اشتهارًا عَظِيمًا، وَكُنَّ يُجَدْنَ الرَّقْصَ وَالْغِنَاءَ وَفُنُونَ الْإِغْرَاءِ، وَيُخَالِطْنَ الرِّجَالَ فِي مَجَالِسِ اللَّهْوِ وَالْعَبَثِ وَالْقَصْفِ وَالْخَلَاعَةِ وَالْمُجُونِ الَّتِي كَانَ يَتَرَدَّدُ عَلَيْهَا بِكَثْرَةٍ، وَيَقْضِي فِيهَا أَيَّامَهُ الصَّاحِبَةَ وَلِيَالِيَهُ الْحَمْرَاءَ.

وَيُمْكِنُ مِنْ خِلَالِ دِرَاسَةِ غَزَلِيَّاتِ الْوَأَاءِ وَالتَّدْقِيقِ فِيهَا تَفْسِيمَهَا اعْتِمَادًا عَلَى طَبِيعَتِهَا وَمَضَامِينِهَا إِلَى قِسْمَيْنِ اثْنَيْنِ، هُمَا:

أولاً: الْغَزَلُ الْمَعْنَوِيُّ الْعَضِيفُ:

هُوَ الْغَزَلُ الَّذِي يَصَوِّرُ فِيهِ الشَّاعِرُ - أَيُّ شَاعِرٍ - مَا اعْتَوَرَ نَفْسَهُ مِنْ حُبِّ صَادِقٍ مُخْلِصٍ، وَمَشَاعِرَ مُلْتَهَبَةٍ وَعَوَاطِفَ حَرَاقَةٍ، وَتَأْثِيرَهَا فِي نَفْسِهِ، وَيَصِفُ فِيهِ - كَذَلِكَ - مَوْقِفَ الْمَحْبُوبَةِ مِنْ حُبِّهِ، وَعِتَابَ الْأَصْدِقَاءِ لَهُ فِيهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ النَّوَاجِي الْمَعْنَوِيَّةِ الَّتِي لَا تَشْرَحُ جَسَدَ الْمَرَاةِ وَلَا

¹ يُنظر: ابن رشيق، القبرواني: العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، 231/1.

تَتَعَرَّضُ لِمَوَاضِعِ حَسِيَّةٍ فِيهِ، وَلَا تَسْتَمِلُ عَلَى التَّعَابِيرِ الْمَكْشُوفَةِ وَالْأَلْفَاظِ الْفَاضِحَةِ وَالصَّرَاحَةِ
الْمُخْجَلَةِ الَّتِي تَخْدِشُ الْحَيَاءَ الْعَامَّ¹.

وَفِيهَا يَأْتِي تَفْصِيلٌ لِأَهَمِّ الْمَضَامِينِ وَالْمَعَانِي الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا الْغَزَلُ الْمَعْنَوِيُّ فِي شِعْرِ الْوَأَوَاءِ
الِدِمَشْقِيِّ، وَذَلِكَ عَلَى النُّحُو الْآتِي:

أولاً: المعاناة:

يُعَدُّ تَصْوِيرُ الْمَعَانَاةِ الَّتِي يَشْعُرُ بِهَا الْوَأَوَاءُ مِنَ الْحُبِّ، وَمِنْ صُدُودِ الْمَحْبُوبَةِ وَهَجْرَانِهَا وَفِرَاقِهَا لَهُ،
مِنْ أَهَمِّ الْمَضَامِينِ الْمَعْنَوِيَّةِ فِي غَزَلِيَّاتِهِ، وَلَقَدْ تَعَدَّدَتِ الصُّورُ وَالْوَسَائِلُ وَالْأَسَالِيبُ الَّتِي اسْتَخْدَمَهَا
لِلْكَشْفِ عَنِ هَذِهِ الْمَعَانَاةِ وَإِبْرَازِهَا، وَهِيَ:

أ: تَصْوِيرُ عَذَابِهِ وَحُزْنِهِ وَمَرَضِهِ:

مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَتَعَدَّبَ الْعَاشِقُونَ وَيَحْزَنُوا وَيَتَأَوَّهُوا وَيَتَأَلَّمُوا، وَتَضَعُفَ أَجْسَادُهُمْ وَيُبْرِحَهَا
الْعِشْقُ وَالْهَيْامُ وَيُصِيبَهَا الْمَرَضُ وَالسَّقَامُ²، وَقَدْ عَبَّرَ الْوَأَوَاءُ عَنْ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ دِيوانِهِ، فَهَذَا
هُوَ ذَا يَجْعَلُ أَشْوَاقَهُ وَحَيْنَهُ إِلَى الْمَحْبُوبَةِ جِيشًا يَحْتَلُّ قَلْبَهُ وَيُعْسِكِرُ فِي فُؤَادِهِ، وَيُشِيرُ إِلَى الْمَرَضِ
وَالسَّقَمِ الَّذِي أَصَابَهُ وَأَبْلَى جَسَدَهُ فِي قَوْلِهِ:³

[البسيط]

عَسَاكِرُ الشُّوقِ فِي قَلْبِي مُخَيَّمَةٌ مُذْ خَيَّمَ الْوَجْدُ لِي فِي رُبْعِ حُبِّيهَا
هَذَا قَدْ لَبَسَتْ ثِيَابَ الضَّرِّ فِيكَ فَقَدْ بُلِيَتْ بِالسَّقَمِ فِيهَا قَبْلَ أُبْلِيهَا

وَيَجْعَلُ تِلْكَ الْأَشْوَاقَ الْحَرَاقَةَ الَّتِي يَخْتَرِبُهَا دَاخِلَ نَفْسِهِ نَارًا مُتَجَدِّدَةً تَمْتَدُّ أَلْسِنَتُهَا لِتَحْرِقَ قَلْبَهُ
وَأَحْشَاءَهُ، وَفِي هَذِهِ الصُّورَةِ دَلَالَةٌ عَلَى الْمَعَانَاةِ الْعَظِيمَةِ وَالْأَلَمِ الشَّدِيدِ الَّذِي يُعَانِي مِنْهُ فِي عِشْقِهِ،
يقول:⁴

[البسيط]

يَا مُوقِدَ النَّارِ فِي قَلْبِي وَفِي كَيْبِدِي أَوْقَدْتَ مَا لَيْسَ يُطْفَأُ آخِرَ الْأَبْدِ
أَوْقَدْتَ نَارَ الْهَوَى بِالشُّوقِ فَاشْتَعَلَتْ مِنْ الْجَوَانِحِ لَمْ تَخْمُدْ وَلَمْ تَكْدِ

¹ يُنظر: هدارة، محمد مصطفى: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، القاهرة: دار المعارف، 1963، ص503.

² يُنظر: ابن حزم، الأندلسي: طوق الحمامة في الألفة والألاف، تح: إحسان عباس، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1993، ص26.

³ الوأواء: ديوانه، ص249.

⁴ الوأواء: ديوانه، ص86.

وَيُصْرِحُ بِأَنَّ الشَّقَّ وَالْجَوَى يُشْعِلَانِ قَلْبَهُ وَفُؤَادَهُ، وَلِذَا صَارَ مُؤَرِّقاً لَا يَعْرِفُ لِلنَّوْمِ طَعْمًا،
يَقُولُ:¹

[الكامل]

بَانَ الْحَبِيبُ فَبَانَ عَنْهُ صَبْرُهُ بَعْدَ الْحَبِيبِ وَمَا رَأَى مَحْبُوبًا
سَكَنَ الْجَوَى وَالشَّقَّ بَيْنَ جَوَانِحِي وَغَدَا الْكُرَى فِي مَقَلَّتِي غَرِيبًا

وَيُشِيرُ فِي إِحْدَى غَزَلِيَّاتِهِ إِلَى أَنَّ قَلْبَ الْعَاشِقِ الْمُخْلِصِ لِمَحْبُوبِهِ يَدُوبُ كَمَدًّا وَحُزْنًا وَشَوْقًا إِذَا مَا
فُجِعَ بِالْبَيْنِ وَالْفِرَاقِ، حَتَّى لَوْ كَانَتْ مَادَّتُهُ مِنْ حَدِيدٍ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَخْلُوقٌ مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ؟ وَذَلِكَ فِي
قَوْلِهِ:²

[مُخْلَعُ الْبَسِيطِ]

لَوْ فَجَّعَ الْبَيْنُ قَلْبَ صَبِيٍّ ذَابَ وَلَوْ كَانَ مِنْ حَدِيدٍ

وَلَأَنَّ الْعِشْقَ أَذَابَ قَلْبَهُ وَأَهْلَكَهُ، وَمَنَعَ عَيْنَيْهِ مِنَ الْغَمِضِ وَالنَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ يَشْتَكِي مِنَ التَّعَبِ
وَالنَّصَبِ الَّذِي أَصَابَهُ، وَيَصِفُهُ -لِكَثْرَتِهِ- بِأَنَّهُ عَظِيمٌ لَا يَنْتَهِي وَلَا حُدُودَ لَهُ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:³

[المنسرح]

فُؤَادُ صَبِيٍّ أَذَابَهُ الْكَمَدُ وَجَفْنُ عَيْنِي أَوْدَى بِهِ السَّهْدُ
يَا زَفْرَاتِي كَمْ أَشْتَكِيكَ فَمَا يُنْصِفُنِي مِنْكَ فِي الْهَوَى أَحَدُ
لِكُلِّ شَيْءٍ حَدٌّ يَبِينُ بِهِ وَمَا لِي وَجَدِي حَدٌّ وَلَا أَمَدُ

وَيُصَوِّرُ الْوَأْوَاءَ -مَرَّةً أُخْرَى- مَا فَعَلَتْهُ الْأَحْزَانُ وَالْأَشْوَاقُ بِقَلْبِهِ فِي قَوْلِهِ:⁴

[الطويل]

لَقَدْ بَرَحَ الْبَيْنُ الْمُبْتَرِحُ وَالْحُبُّ بَقَلْبِي؛ وَهَلْ يَبْقَى عَلَى لَوْعَةٍ قَلْبًا!
تَعَزَّزْتُ مُغْتَبِرًا بِمَا الْبَيْنُ صَانِعٌ وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْبَيْنَ مَرْكَبُهُ صَعْبٌ

وَيُصْرِحُ بِأَنَّهُ لَوْ كَانَتِ الْأَحْزَانُ وَالْأَشْوَاقُ تُمِيتُ صَاحِبَهَا، لَكَانَ أَوَّلَ عَاشِقٍ مَاتَ حُزْنًا وَكَمَدًا مِنَ
الْحُبِّ، وَيَبْدُو أَنَّ صُدُودَ الْمَحْبُوبَةِ وَهَجْرَهَا لِلشَّاعِرِ قَدْ طَالَتْ مُدَّتُهُ؛ لِذَا جَعَلَ نَفْسَهُ وَفَقًا لِلْأَحْزَانِ
وَالْأَسْقَامِ وَالْأَمْرَاضِ بِأَنْوَاعِهَا وَأَصْنَافِهَا الْمُخْتَلِفَةِ، يَقُولُ:⁵

[البسيط]

¹ المصدر السابق، ص 51.

² المصدر السابق، ص 88.

³ المصدر السابق، ص 76.

⁴ الواوَاء: ديوانه، ص 47.

⁵ المصدر السابق، ص 240-241.

لَوْ قِيلَ: هَلْ رَجُلٌ طَالَتْ بَلِيَّتُهُ لَأَسْتَعْبِرَتْ مُقْلِي حَتَّى أَقُولَ: أَنَا
وَلَوْ قَضَى حَزْناً مُسْتَهْتِرٌ دَنِفٌ لَكُنْتُ أَوَّلَ مَحْزُونٍ قَضَى حَزْناً
هَذَا كِتَابٌ فَتَى طَالَتْ صَبَابَتُهُ مُكْبَلٌ فِي الْهَوَى وَقَفٍ لِكُلِّ ضَنْى

وَإِذَا مَا رَأَى الْوَأَوَاءَ دِيَارَ الْمَحْبُوبَةِ فَإِنَّ نِيرَانَ الْأَشْوَاقِ تَضْطَرُّمٌ فِي جَسَدِهِ فَيَذُوبُ كَمَدّاً وَشَوْقاً
وَحَيْنَئاً، وَتَذْرِفُ عَيْنَاهُ دَمْعاً غَزِيْرًا مِدْرَارًا، يَقُولُ:¹

[الوافر]

كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ بِيَدِ الدُّمُوعِ وَمَا أَمَلَى سِوَى قَلْبِي الْمُرُوعِ
أَرَى أَنَارَكُمْ فَأَذُوبُ شَوْقاً وَأَسْكُبُ فِي مَوَاطِنِكُمْ دُمُوعِي

وَلَجَأَ الْوَأَوَاءَ إِلَى مُبَالِغَةٍ عَظِيمَةٍ؛ لِيُظْهِرَ شِدَّةَ النَّصَبِ وَالسَّقَمِ وَالضَّعْفِ الَّذِي أَصَابَ
جَسَدَهُ بِسَبَبِ الْحُبِّ، وَمَقَادُهَا أَنَّهُ أَصْبَحَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْشِيَ عَلَى الْمَاءِ دُونَ أَنْ يَغْرُقَ فِيهِ، وَذَلِكَ فِي
قَوْلِهِ:²

[السرير]

حَوَيْتُ أَسْقَامَ الْوَرَى مُفْرِداً وَحَازَهَا النَّاسُ بِأَسْمَاءِ
لَوْ شِئْتُ أَنْ أَمْشِيَ لِقَرِطِ الضَّيِّ مَشَيْتُ مِنْ سُقْمِي عَلَى الْمَاءِ

وَفِي مُبَالِغَةٍ أُخْرَى يَقُولُ إِنَّهُ إِذَا مَا اجْتَمَعَتْ أَشْجَانُ الْعَاشِقِينَ جَمِيعِهِمْ وَقُورِنَتْ بِالْأَشْجَانِ
وَالْأَحْزَانِ الْمُتَجَمِّعَةِ فِي قَلْبِهِ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ تَرْجَحَ الثَّانِيَةُ عَلَى الْأُولَى:³

[البيسط]

قَالُوا جَفَاكَ الَّذِي تَهْوَى فَقُلْتُ لَهُمْ: نَوْمِي تَعَلَّمَ مِنْهُ فَهَوَ يَجْفُونِي
لَوْ قَاسَ مَنْ قَدْ مَضَى حَيِّي بِحَيِّهِمْ كَانُوا إِذَا وُصِفَتْ أَشْجَانُهُمْ دُونِي

وَيُصَرِّحُ بِأَنَّهُ لَوْ أَرَادَ أَنْ يَصِفَ أَشْوَاقَهُ لِلْمَحْبُوبَةِ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، لَا عَجْزاً، وَإِنَّمَا لِأَنَّهَا
تَفُوقُ حُدُودَ الْوَصْفِ وَتَتَجَاوَزُهَا، وَلَا تَسْتَطِيعُ الْكَلِمَاتُ اسْتِيْعَابَهَا وَالتَّعْبِيرَ عَنْهَا:⁴ [أحد الكامل]

شَوْقِي إِلَيْكَ مُجَاوِزٌ وَصَفِي وَظُهُورٌ وَجِدِي فَوْقَ مَا أُخْفِي

¹ المصدر السابق، ص 145.

² المصدر السابق، ص 6.

³ الواواء: ديوانه، ص 225-226.

⁴ المصدر السابق، ص 149.

وَفِي طَرْفَةٍ ظَرْفِيَّةٍ اسْتَعْمَلَ الْوَأْوَاءُ الْاسْتِعَارَةَ لِلْكَشْفِ عَمَّا فِي نَفْسِهِ مِنْ جَوَى وَأَشْوَاقٍ وَحَيْنٍ إِلَى مَحْبُوبَتِهِ، وَصَرَّحَ بِأَنَّهُ إِذَا مَا أَرَادَ تَسْجِيلَ تِلْكَ الْأَشْوَاقِ عَلَى قِرْطَاسٍ فَإِنَّ ذَلِكَ الْقِرْطَاسَ لَنْ يَخْتَمِلَ تِلْكَ الْعَوَاطِفَ الْحَارَّةَ وَالْأَشْوَاقَ الْمُلتَهَبَةَ؛ وَلِذَا فَإِنَّهُ -أَيُّ الْقِرْطَاسِ- سَيَبْدَأُ بِالْبُكَاءِ حُزْناً عَلَيْهِ، ثُمَّ سَيَحْتَرِّقُ وَيُصْبِحُ رَمَاداً، يقول: ¹

[البسيط]

إِنِّي طَلَبْتُ إِلَى الْقِرْطَاسِ يَحْمِلُ لِي
فَطَلَّ يَرْعَدُ فِي كَفِّي فَأَوْهَمَنِي
أَشْكُو إِلَيْهِ فَيَبْكِي حِينَ يَسْمَعُنِي
حَتَّى إِذَا عَلِمَ الْقِرْطَاسُ مَا كَتَبْتُ
بَعْضَ الَّذِي بِي إِلَيْكُمْ زَادَنِي قَلَقَا
بِأَنَّهُ لِلَّذِي أَهْوَاهُ قَدْ عَشَقَا
مِنْ رَحْمَتِي وَلَوْ اسْتَنْطَقْتُهُ نَطَقَا
كَفِّي مِنَ الشَّوْقِ فِي أَحْسَانِهِ احْتَرَقَا

وَيُصَرِّحُ بِأَنَّ لَوْعَةَ الْحُبِّ فِي قَلْبِهِ مُتَجَدِّدَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ، لَا تَنْضَبُ وَلَا نِهَائِيَّةٌ لَهَا، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ²

[البسيط]

لِكُلِّ شَيْءٍ نِهَائِيَّاتٌ تَبِيدُ وَمَا
لِلْوَعَةِ الْحُبِّ فِي قَلْبِي نِهَائِيَّاتٌ

وَالْوَأْوَاءُ ذَائِمٌ الشَّكْوَى مِنَ الْحُبِّ وَعَذَابِهِ وَنِيرَانِهِ، وَيُظْهِرُ ذَلِكَ جَلِيئاً فِي مَقْطُوعَةٍ بَدِيعَةٍ لَا تَخْلُو مِنْ رُوحِ الْفُكَاهِمَةِ، يَتَغَرَّلُ فِيهَا بِمَحْبُوبَةٍ أُصِيبَتْ بِدَاءِ الْجَرَبِ، فَبَيْنَمَا هِيَ تَشْتَكِي مِنَ أَلَمِ الْحَبِّ الظَّاهِرِ عَلَى جَسَدِهَا وَحَرِّهِ، كَانَ الْوَأْوَاءُ يَشْتَكِي وَيَتَأَوُّهُ مِنْ حَرِّ النِّيرَانِ الْمُسْتَعْرَةِ فِي قَلْبِهِ بِفِعْلِ عَشَقِهِ لَهَا، يقول: ³

[مجزوء الرمل]

يَا صُرُوفَ الدَّهْرِ حَسْبِي
طَرَقْتُمِي نَائِبَاتُ الدَّ
عِلَّةٌ عَمَّتْ وَخَصَّتْ
دَبَّ فِي كَفِّيهِ مَا مِنْ
أَيُّ ذَنْبٍ كَانَ ذَنْبِي
هُرٍ فِي إِعْلَالِ حَيِّي
فِي حَبِيبٍ وَمُحِبِّ
حُبِّهِ دَبَّ بِقَلْبِي

¹ المصدر السابق، ص 170.

² المصدر السابق، ص 62.

³ الوأواء: ديوانه، ص 55-57.

وَكَيْ يُظَهِّرَ الْوَأْوَاءَ لِلْمَعشُوقَةِ الْحَرَقَةَ وَالْمِرَارَةَ وَالْكَمَدَ الَّذِي أَصَابَهُ مِنَ الْحُبِّ، فَإِنَّهُ يَطْلُبُ مِنْهَا أَنْ تَصُوبَ عَلَى جَسَدِهِ الْمُحْتَرِقِ بِنَارِ الْجَوَى مَاءً بَارِدًا، وَأَنْ تَسْتَمِعَ إِلَى صَوْتِ الْمَاءِ حِينَ يَلَامِسُ قَلْبَهُ الْمُلتَهَبِ، يَقُولُ:¹

[السرّيع]

يا مُنْكَرًا شَكْوَايَ نَارَ الْهَوَى قد زِدْتَنِي كَرِيبًا عَلَى كَرِيبِي
أَفِضْ عَلَيَّ الْمَاءَ أَوْ فَاسْقِنِي ماءً وَكُنْ مِثِّي عَلَى قُرْبِ
تَسْمَعِ لِلْمَاءِ نَشِيشًا إِذَا ما وَصَلَ الْمَاءُ إِلَى قَلْبِي

وَلَقَدْ نَجَّحَ الشَّاعِرُ فِي تَقْرِيبِ الْمَعْنَى، بِاسْتِخْدَامِهِ مُفْرَدَةً (نَشِيشًا)؛ لِأَنَّهَا تَكْشِفُ عَنِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ مِنْ حَرْفِ الشَّيْنِ الْمُكْرَّرِ، ذَلِكَ أَنَّ نَطْقَهُ يُشْبِهُ الصَّوْتِ النَّاشِئَ عَنِ وَقُوعِ الْمَاءِ عَلَى جَسَدٍ حَارٍّ.

وَقَدْ نَجَّحَ عَنِ هَذِهِ الْأَشْوَاقِ وَالْأَحْزَانِ الْمَكْبُوتَةِ فِي نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الصُّدُودِ وَالْهَجْرَانِ الَّذِي تَعَرَّضَ لَهُ ضَعْفٌ وَسَقَمٌ وَمَرَضٌ فِي جِسْمِهِ، حَيْثُ كَرَّرَ الْوَأْوَاءَ هَذَا الْمَعْنَى فِي كَثِيرٍ مِنْ أَشْعَارِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:²

[الكامل]

يا مَنْ أَقَامَ قِيَامَتِي بِصُدُودِهِ الْجِسْمُ يَنْحَلُ وَالْفُؤَادُ يَذُوبُ
أَسَقَمْتَنِي فَلَقِيتُ مِنْ طَوْلِ الضَّنَا ما لَا يُقَاسِي بَعْضَهُ أَيُّوبُ

وَقَوْلُهُ مُجَانِسًا بَيْنَ لَفْظَتَيْ (بَلِيثٌ) وَ (بُلِيثٌ)، وَمُسْتَعْمَلًا عُنْصُرَ الْمُبَالَغَةِ وَالتَّهْوِيلِ مُشِيرًا إِلَى أَنَّ جِسْمَهُ ذَابَ وَهَلَكَ إِلَى دَرَجَةٍ أَنَّهُ لَا يَكَادُ يَرَى؛ وَذَلِكَ إِبْرَازًا لِلْمَعْنَى وَتَقْوِيَتِهِ وَتَأَكِيدِهِ، يَقُولُ:³

[الوافر]

بَلِيثٌ لِأَنَّني بِكَ قَدْ بُلِيثٌ فَلَسْتُ بِمُنْتَهٍ مِمَّا تُهَيْتُ
الْأَلْمُ وَقَدْ أَصَمَّ الْحُبُّ سَمْعِي وَبُزْئُشُدْنِي الْعَدُولُ وَقَدْ عَمِيَتْ
وَأَنْحَلْنِي فَلَوْ إِنْسَانُ عَيْنِي تَضَمَّنَ جَفْنُهُ جِسْمِي خَفِيَتْ

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ يُقَرَّرُ بِأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ —بَعْدَ ذَوْبَانِ جَسَدِهِ وَهَلَاكِهِ— سِوَى اسْمِهِ الَّذِي يَتَرَدَّدُ ذِكْرُهُ بَيْنَ النَّاسِ، يَقُولُ فِي ذَلِكَ:⁴

[السرّيع]

¹ المصدر السابق، ص 37-38.

² المصدر السابق، ص 49.

³ الواواء، ديوانه، ص 62.

⁴ الواواء، ديوانه، ص 211.

يا حاكماً قد جاز في حكمه
تركت جسمي عرضاً قائماً
وهو إذا ينصفتني خصمي
لم يبق لي منه سوى اسمي

وتجدد الإشارة إلى أن الواء، وعلى الرغم من معاناته وحرقته وسقمه وأرقه بسبب فراق المحبوبة وهجرانها وبنيتها، فإنه يتمنى لها كل خير، ويدعو لها بدوام الفرح والسعادة والسُرور، وحين علم بأن سقمه وحزنه يفرح المحبوبة، فإنه زاد من ذلك السقم والمرض، ليس لشيء إلا لتزداد المحبوبة فرحاً وسعادة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على صدق الواء وإخلاصه في عشقه وهيامه، ويظهر ذلك جلياً من قوله:¹

[البسيط]

لا أرق الله عيني من يؤرقني
قد سرتني أنهم قد سرتهم سقمي
ولا ملا مثل قلبي قلبه برحاً
فأزدت سقماً ليزدادوا به فرحاً
وكرر شيئاً مما سبق في قوله:²

[البسيط]

قد سرتني أنهم قد سرتهم سقمي
فأزدت كيماً يسروا بالضنى سقماً

ويتبين لمن يُمعن النظر في الأبيات السابقة جميعها، أنها مفعمة بالحُب والألم، مليئة بالمعاني الوجدانية الحزينة التي تدور بين كل عاشقين بيمهما صمود وهجران، ويُلاحظ أنها تشتمل على الكثير من المفردات والتراكيب التي يُستشف منها صدق عاطفة الشاعر الواء وإخلاصها، والتهاب مشاعره في الحُب، كما أنه يُستشف منها ما أصابه من حزن وهزال وسقم عظيم كاد يؤدي بحياته في سبيل ذلك الحُب، ومنها: ينحل، ويذوب، وأسقمتني، والضنا، ويُقاسي، والجوى، والشوق، وبليت، وأنحلي، ونار الهوى، واشتعلت، وفجع، والبين، وذاب، ونشيش.

ب: البكاء وذرف الدموع الغزار:

لقد كان الواء عاشقاً متيماً لا يجد الحياة إلا بقرب من يُحب، ولا يشعر بالسعادة والطمأنينة إلا بوصوله، فإذا لم يتل الوصول أصابه المرض والسقم، واحترق قلبه، وذاب فؤاده، ونحل

¹ المصدر السابق، ص 69.

² المصدر السابق، ص 200.

جِسْمُهُ، وَطَفِيقٌ يَبْكِي بِدَمْعٍ غَزِيرٍ مِدْرَارٍ حُزْناً وَأَسَى¹، وَكَثِيراً مَا أَعْلَنَ عَن هَذِهِ الْحَالَةِ فِي شِعْرِهِ، وَمِنَ ذَلِكَ قَوْلُهُ:²

[السريع]

مَضَى الَّذِي أَوْدَعَ قَلْبِي الْجَوَى فَدَمَعْتِي مِنْ حَسْرَتِي قَاطِرَهُ

وقوله مُسْتَحْضِراً شَخْصِيَّةَ النَّبِيِّ أَيُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا عَانَاهُ خِلَالَ دَعْوَتِهِ لِقَوْمِهِ مِنْ أَسَى وَضَيْئٍ وَسَقَمٍ، حَيْثُ جَعَلَ مُعَانَاتَهُ بِسَبَبِ فِرَاقِ أَلْفِهِ مِثْلَ مُعَانَاةِ أَيُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا أَنَّهُ اسْتَحْضَرَ شَخْصِيَّةَ النَّبِيِّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبُكَاءَهُ عَلَى فِرَاقِ ابْنِهِ النَّبِيِّ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ³، حَيْثُ جَعَلَ الشَّاعِرُ بُكَاءَهُ عَلَى فِرَاقِ مَنْ يَعَشَقُ كِبْكَاءَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَذَلِكَ بِجَامِعِ اشْتِرَاكِهِمَا فِي غَزَاةِ الدَّمُوعِ وَحَرَارَتِهَا، يَقُولُ:⁴

[الكامل]

يَا مَنْ أَقَامَ قِيَامَتِي بِصُدُودِهِ الْجِسْمُ يَنْحَلُ وَالْفُؤَادُ يَذُوبُ
أَسْقَمْتَنِي فَلَقَيْتُ مِنْ طَوْلِ الضَّنَا مَا لَا يُقَاسِمِي بَعْضُهُ ((أَيُوبُ))
وَبَكَيْتُ مِنْ جَزَعٍ عَلَيْكَ بِحُرْقَةٍ أَسْفَأَ عَلَيْكَ كَمَا بَكَى ((يَعْقُوبُ))

وَدُمُوعُ الْوَأَوَاءِ تَنْسَابُ عَلَى وَجْنَتَيْهِ إِذَا رَحَلَتْ عَنْهُ الْمَحْبُوبَةُ، أَوْ فَارَقَتْهُ، وَقَدْ عَبَّرَ عَن ذَلِكَ فِي بَعْضِ أَشْعَارِهِ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ:⁵

[المتقارب]

حَقِيقٌ لِعَيْمِي أَنْ تَدْمَعَا لِحَرِّ الْفِرَاقِ وَأَنْ تَجْرَعَا
وَأَلْطِمُ خَدِّي حُزْناً عَلَيْهِ وَأُبْكِي عَلَى الْإِلْفِ إِذْ وَدَعَا

وَبِمُجَرَّدِ أَنْ يَتَذَكَّرَ الشَّاعِرُ الْمَحْبُوبَةَ الْبَعِيدَةَ عَنْهُ، فَإِنَّهُ يَذُرِفُ عَلَيَّهَا دَمْعاً غَزِيراً مِدْرَاراً:⁶

[أحد الكامل]

مَا دَارَ ذِكْرٌ مِنْكَ فِي خَلْدِي إِلَّا طَرَفْتُ بِدَمْعَتِي طَرْفِي

¹ يُنظر: الواواء: ديوانه، مقدمة المحقق، ص27.

² المصدر السابق، ص106.

³ للاستزادة: يُنظر: بيومي، محمد: قصص القرآن دروس وعبر للدعوة والدعاة، ط1، المنصورة: مكتبة الإيمان، 2006، ص189-212.

⁴ الواواء: ديوانه، ص49.

⁵ الواواء: ديوانه، ص141.

⁶ المصدر السابق، ص150.

وَهُوَ يَتَعَجَّبُ مِنْ أَنَّهُ اكَتَفَى بِالْبُكَاءِ عَلَى فِرَاقِ الْأَحبابِ، وَلَمْ تَخْرُجْ رُوحُهُ بِسَبَبِهِ، يَقول:¹

[الكامل]

سَارُوا وَمَا عَاجُوا عَلَيْكَ بِنَظَرٍ اللَّهُ يَحْفَظُ مَنْ جَفَاكَ وَيَصْحَبُ
لَيْسَ التَّعَجُّبُ مِنْ بَكَائِكَ لِفَقْدِهِمْ لَكِنْ بِقَاكَ مَعَ التَّفَرُّقِ أَعْجَبُ

وَإِذَا رَأَى الْوَأوَاءُ أَطْلَالَ الْمَحْبُوبَةَ وَأَثَارَ دِيَارِهَا بَعْدَ الرَّحِيلِ عَنَهَا، أَوْ مَرَّ بِهَا فَإِنَّهُ يَبْكِي بِحُرْقَةٍ وَمَرَارَةٍ،
يقول

[الطويل]

أَمَعْنَى الْهَوَى غَالَتْكَ أَيْدِي النَّوَابِثِ فَأَصْبَحْتَ مَعْنَى لِلصَّبَا وَالْجَنَائِبِ²
إِذَا أَبْصَرْتَكَ الْعَيْنُ جَادَتْ بِمُذْهَبٍ عَلَى مَذْهَبٍ فِي الْخَدِّ بَيْنَ الْمَذَاهِبِ

وَالْوَأوَاءُ الشَّاعِرُ الْحَسَّاسُ الْمُرْهَفُ مَهْمَا اجْتَمَدَ فِي أَنْ يُخْفِيَ عِشْقَهُ وَحُبَّهُ وَاشْتِيَاقَهُ لِمَنْ يَهْوَى
فَإِنَّهُ يَفْشَلُ؛ لِأَنَّ دُمُوعَهُ تَفْضَحُهُ وَتَكْشِفُ عَنْ مَكْنُونَاتِ نَفْسِهِ وَمَا يَجُولُ فِيهَا مِنْ مَشَاعِرٍ
وَأَحَاسِيسٍ، يَقول:³

[البيسيط]

إِنِّي لِأُخْفِي اِشْتِيَاقِي، وَهُوَ مُشْتَهَرٌ، مِنْ أَيْنَ يَخْفَى، وَدَمْعِي صَاحِبُ الْخَبْرِ!؟
وَيَقُولُ:⁴

[البيسيط]

كَتَمْتُ مَا بِي فَتَمَّتْهُ الدُّمُوعُ وَكَمْ حَذَرْتُ مِنْهَا وَمَا وَقَّيْتُ مِنْ حَذَرِي

وَلَكَثْرَةَ دُمُوعِهِ وَغَزَاظَتِهَا وَمُعَانَاظَتِهِ بِسَبَبِهَا؛ فَإِنَّهُ يَطْلُبُ مِنْ مَحْبُوبَتِهِ أَنْ تُسَاعِدَهُ وَتُعِينَهُ عَلَى إِيقَافِ
انْجِدَارِهَا مِنْ عَيْنَيْهِ، وَهَذَا لَا يَتِمُّ إِلَّا بِوَصَالِهَا لَهُ وَعَوْدَتِهَا إِلَيْهِ، يَقول:⁵

[الطويل]

وَصَلْتُ أَنِينِي فِي الْهَوَى بِحَنِينِي وَشَكُوَائِي مَا أَلْقَى بِضَعْفٍ يَقِينِي
وَبَيَّضْتُ بِالْهَجْرِ الطَّوِيلِ نَوَاطِرِي وَوَرَدْتُ مَاءَ الدَّمْعِ بَيْنَ جُفُونِي

¹ المصدر السابق، ص 43-44.

² النَّوَابِثُ: جمع نائبة، وهي ما يتوب الإنسان، أي ما ينزل به من المهملات والحوادث والمصائب. ابن منظور: لسان
العرب، مادة (نوب). الجنائيب: جمع جنوب، وهي ریح تهبُّ من جهة الجنوب. مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم
الوسيط، مادة (جَنَب).

³ الوأواء: ديوانه، ص 98.

⁴ المصدر السابق، ص 99.

⁵ المصدر السابق، ص 235-236.

فَيَا مُلْزِمِي ذَنْبَ الدُّمُوعِ الَّتِي جَرَّتْ فَأَبَدْتُ مِنَ الْأَسْرَارِ كُلِّ مَصُونٍ
أَعْيِي عَلَى تَأْدِيبِ دَمْعِي فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِذَا مَا كُنْتُ أَنْتَ مُعِينِي

وَإِذَا كَانَتْ الدُّمُوعُ تَنْحَدِرُ مِنْ عَيْنِي الْوَأَوَاءِ بِهَذِهِ الصُّورَةِ وَهَذِهِ الْغَزَاةُ، فَمِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَتَوَقَّفَ عِنْدَهَا، وَهُوَ الشَّاعِرُ الْحَاذِقُ الْمُفْلِقُ، وَيَصِفُهَا وَصْفًا دَقِيقًا، وَهَذَا مَا حَدَّثَ بِالْفِعْلِ، فَمَا هُوَ ذَا يُقَدِّمُ لَهَا صُورَةً مُسْتَمَدَّةً مِنْ عَالَمِ الطَّبِيعَةِ وَوُرُودَهَا وَأَزْهَارِهَا، حَيْثُ شَبَّهَ الدُّمُوعَ الَّتِي تَنْثَارُ عَلَى خَدَيْهِ بِحُبِّيَّاتِ مَاءِ النَّدى الَّتِي تَتَساقَطُ عَلَى زَهْرِ النَّسْرِينِ الْأَبْيَضِ، يَقُولُ:¹

[البسيط]

كَأَنَّ دَمْعِي عَلَى خَدَيْ وَصْفَرْتَهُ حَبَابُ دَمْعِ النَّدى مِنْ حَوْلِ نَسْرِينِ

وَحُزْنًا عَلَى هَجْرِ الْمَحْبُوبَةِ لِلْوَأَوَاءِ انْحَدَرَتْ الدُّمُوعُ، الَّتِي صَوَّرَهَا بِحُبِّيَّاتِ اللُّؤلُؤِ، مِنْ عَيْنَيْهِ انْجِدَارًا مُتتَابِعًا لَا انْقِطَاعَ فِيهِ، وَجَعَلَ لَوْنَهَا أَحْمَرَ؛ لِأَنَّ مَصْدَرَهَا دَمُهُ وَقَلْبُهُ، كِنَايَةً عَنْ حَرَارَتِهَا وَعَنْ خُرُوجِهَا مِنْ أَعْمَاقِ نَفْسِهِ وَوُجْدَانِهِ، لَا مِنْ أَجْفَانِهِ وَحَسْبُ، وَقَدْ عَبَّرَ عَنِ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:²

[مُخَلَعُ البسيط]

يَا عَاتِبًا لِي بِغَيْرِ عَنَبٍ وَهَاجِرًا لِي بِغَيْرِ ذَنْبٍ
لَوْلَاكَ لَمْ تَجِرْ لِي دُمُوعٌ سَكْبًا عَلَى الْخَدِّ فَوْقَ سَكْبِ
لَا تُنْكِرُنْ إِنْ جَرَّتْ بِدُرٍّ مُنْتَثِرٍ لَمْ يُشْنِ بِثَقْبِ
صَيَّرَهَا فِي الْجُفُونِ حُمْرًا تَصْعِيدُهَا مِنْ دَمِي وَقَلْبِي

[البسيط]

وَكَرَّرَ الْمَعْنَى الْأَخِيرَ فِي قَوْلِهِ مُخَاطِبًا الْمَحْبُوبَةَ:³

عَنَنْتُ يَدَ الدَّمْعِ فِي خَدَيْ عِنَانِ دَمٍ كَأَنَّهُ مِنْ أَدِيمِ الْقَلْبِ مَقْدُودٌ

وَفِي لَحْظَةٍ فِرَاقٍ لَاحَظَ الشَّاعِرُ دُمُوعَ مَعشُوقَتِهِ وَهِيَ تَسِيلُ عَلَى وَجْنَتَيْهَا، فَصَوَّرَهَا بِاللُّؤلُؤِ، وَصَوَّرَ وَجْنَتَيْهَا بِالْيَاقُوتِ، وَلَمْ يُنَسَّ أَنْ يَصِفَ دُمُوعَهُ، حَيْثُ جَعَلَهَا كَالْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ الْحَمْرَاءِ وَذَلِكَ بِجَمَاعِ اللَّوْنِ، وَصَوَّرَ خَدَّهُ الْأَصْفَرَ اللَّوْنِ بِالذَّهَبِ، يَقُولُ:⁴

[البسيط]

أَجْرَى دُمُوعًا كَمِثْلِ الدَّرِّ أَهْمَلَهَا مِنْ نَاطِرْتِهِ عَلَى يَاقُوتِ وَجْنَتِهِ

¹ المصدر السابق، ص 226.

² الواواء: ديوانه، ص 55.

³ المصدر السابق، ص 71.

⁴ المصدر السابق، ص 63.

فَحَدَرْتُ مُفْلَتَا عَيْنِي الْعَقِيقَ عَلَى خَدِّي حَكِي ذَهَباً مِنْهُ بِصُفْرَتِهِ

وَفِي صُورَةٍ أُخْرَى اعْتَمَدَ فِي وَصْفِ دُمُوعِهِ الشَّقَافَةَ اللَّامِعَةَ الَّتِي تَنْحَدِرُ عَلَى وَجْنَتَيْهِ الْبَيْتَيْنِ عَلَى
عَنْصُرِ اللَّوْنِ، حَيْثُ صَوَّرَهَا بِمَادَّةِ الْفِضَّةِ الْمَوْضُوعَةَ عَلَى أَرْضٍ مَصْنُوعَةٍ مِنَ الذَّهَبِ الدَّاكِنِ
اللُّونِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ مُخَاطَباً مَنْ يَعِشُقُ:¹

[المتقارب]

وَحَقِّ جُفُونِكَ فَهِيَ الَّتِي إِذَا مَا حَلَفْتُ بِهَا أَصْدُقُ
لَقَدْ فَتَحَ الشُّوقُ لِي مِنْ هَوَا كَبَاباً مِنَ الشُّوقِ لَا يُغْلِقُ
كَأَنَّ دُمُوعِي عَلَى وَجْنَتِي لُجَيْنٌ عَلَى ذَهَبٍ مُحْرَقُ

وَفِي مَقْطُوعَةٍ أُخْرَى عَاوَدَ تَصْوِيرَ حُبِّيَّاتِ مَاءِ الدَّمْعِ الْمُتَنَائِرَةِ عَلَى خَدِّهِ بِاللُّوْلُو، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ
أَسْلُوبَ التَّقْسِيمِ عَلَى لِسَانِ مَحْبُوبَتِهِ، فَجَعَلَ الدَّمْعَ الْحَقِيقِيَّ الَّذِي يَنْدِرِفُهُ الْإِنْسَانُ بِصِدْقٍ مِنْ
أَعْمَاقِهِ ضَرْبَيْنِ اثْنَيْنِ، هُمَا: دَمْعُ الْغَرِيبِ الْمُهَاجِرِ عَنَ وَطْنِهِ وَأَهْلِهِ وَدِيَارِهِ، وَدَمْعُ الْمَهْجُورِ الَّذِي فَارَقَهُ
إِلْفُهُ، وَوَصَفَ دَمْعَهَا عَلَى فِرَاقِهِ مُسْتَعْمِلاً تَصْوِيرًا جَمِيلًا، وَمُعْتَمِدًا عَلَى الْحِجَازَةِ الْكَرِيمَةِ الْمَلُونَةِ،
حَيْثُ صَوَّرَهُ بِالْعَقِيقِ الْأَحْمَرِ اللَّوْنِ الْمُدَابِّ فِي الْبَلُورِ الشَّقَافِ اللَّامِعِ، يَقُولُ:²

[الخفيف]

لَسْتُ أَنْسَى مَقَالَهَا لِي، وَدَمْعِي فَوْقَ خَدِّي كَاللُّوْلُو الْمُنْتَوِرِ
كُلُّ دَمْعٍ فَبِالْتَّكْلِيفِ يَجْرِي غَيْرَ دَمْعِ الْغَرِيبِ وَالْمَهْجُورِ
وَرَدَّ الْبَيْنُ دَمْعَ عَيْنِي فَأَضْحَى كَعَقِيقٍ أُذِيبَ فِي بَلُورِ

وَبِهَذَا فَإِنَّ الْوَأَوَاءَ لَمْ يَصِفْ دُمُوعَهُ فَحَسَبَ، وَإِنَّمَا وَصَفَ دَمْعَ مَحْبُوبَتِهِ، وَهَذَا هُوَذَا يَرْسُمُ
صُورَةً جَدِيدَةً لَهَا، يُصَوِّرُهَا فَمَا يَعْقِدُ مِنَ الْلُّوْلُو الْمُتَنَائِرَةِ حُبِّيَّاتُهُ عَلَى وَجْنَتَيْهَا، وَفِي صُورَةٍ بَدِيعَةٍ
صَوَّرَ بَقَايَا الْكُحْلِ الَّذِي يُزِينُ عَيْنَيْهَا، وَأَثَارَهُ عَلَى وَجْهِهَا نَتِيجَةَ دَوْبَانِهِ بِفِعْلِ الدَّمْعِ، صَوَّرَهَا بِبَقَايَا
سَطْرِ قَدِيمٍ مَكْتُوبٍ عَلَى وَرْقَةٍ بِالْيَةِ، حَيْثُ لَا تَظْهَرُ مِنْهُ إِلَّا بَعْضُ الْأَثَارِ الْبَسِيطَةِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:³

[الخفيف]

جَعَلْتُ تَشْتَكِي الْفِرَاقَ وَفِي أَجْ فَمِنْهَا عَقْدُ لَوْلُو مَنْتَوِرِ
وَكَأَنَّ الْكُحْلَ السَّجِيقَ مَعَ الدَّمِّ عِ عَلَى خَدِّهَا بَقَايَا سَطُورِ

¹ المصدر السابق، ص 168-169.

² الواوَاء: ديوانه، ص 109.

³ المصدر السابق، ص 111.

وَكثِيرًا مَا يَلْجَأُ الْوَأَوَاءُ فِي وَصْفِهِ لِلدُّمُوعِ إِلَى رَسْمِ الصُّورِ الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَى غُنْصِرِ الْمُبَالَغَةِ وَالتَّهْوِيلِ؛
إِبْرَارًا لِغَزَارَةِ دُمُوعِهِ وَكَثْرَتِهَا، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ جَعَلَ دُمُوعَهُ بَحْرًا وَاسِعًا مُمْتَلِنًا بِالْمَاءِ، وَجَعَلَ جَفْنَ
عَيْنَيْهِ إِنْسَانًا حَازِقًا لِلسِّبَاحَةِ الَّتِي لَوْلَاهَا لَمَاتَ غَرِيقًا فِي ذَلِكَ الْبَحْرِ، يَقُولُ:¹ [المنسرح]

إِنْسَانٌ عَيْنٍ لَوْلَا سِبَاحَتُهُ مَاتَ غَرِيقًا بِبَحْرِ دَمْعَتِهِ

وَدُمُوعُ الْوَأَوَاءِ غَزِيرَةٌ مِدْرَارَةٌ إِلَى الدَّرَجَةِ الَّتِي يُمَكِّنُ لَهَا أَنْ تَمْلَأَ نَهْرَ النَّيْلِ الْعَظِيمِ، وَتَجْعَلَهُ يَفِيزُ
بِالْمَاءِ، فَقَدْ وَصَفَ فِي بَعْضِ أَشْعَارِهِ هَذَا النَّهْرَ بِأَنَّهُ مُمْتَلِنٌ بِالْمَاءِ، وَيُعْلَلُ ذَلِكَ لَا بِكَثْرَةِ الْمَطَرِ الْمُتَهَمِرِ مِنَ
السَّمَاءِ كَمَا يَتَّبَادَرُ إِلَى ذَهْنِ الْإِنْسَانِ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ، وَإِنَّمَا بِكَثْرَةِ الدُّمُوعِ الَّتِي تَهَمِرُ مِنْ عَيْنَيْهِ، وَتَجْمَعُهَا
فِي ذَلِكَ النَّهْرِ، يَقُولُ:² [مجزوء الرمل]

مَا تَرَى النَّيْلَ عَلَيْهِ مَا تَرَى النَّيْلَ عَلَيْهِ
إِنَّمَا زَادَ لِأَنِّي فِيهِ أَجْرِنْتُ دُمُوعِي

وَيَسْتَذَكِرُ الْوَأَوَاءُ مَعشُوقَهُ فِي إِحْدَى اللَّيَالِي الْمُظْلِمَةِ الشَّدِيدَةِ السَّوَادِ، فَيَبْدَأُ بِالْبُكَاءِ شَوْقًا
وَخِينًا، وَيَذَرِفُ دَمْعًا مِدْرَارًا فَضِيَّ اللَّوْنِ حَتَّى كَادَ اللَّيْلُ الْأَسْوَدُ، لِكثْرَةِ دُمُوعِهِ وَكَلْعَانِهَا، يَتَحَوَّلُ إِلَى
نَهَارٍ مُشْرِقٍ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ:³ [الطويل]

رَعَى اللَّهُ لَيْلًا ضَلَّ عَنْهُ صَبَاحُهُ وَطَيْفُكَ فِيهِ لَا يُفَارِقُ مَضْجَعِي
وَمَا زِلْتُ أَبْكِي فِي دُجَاهِ صَبَابَةٍ مِنْ الْوُجْدِ حَتَّى ابْيَضَّ مِنْ فَيْضِ أَدْمَعِي

وَفِي مُبَالَغَةٍ جَدِيدَةٍ، اسْتَعْمَلَ الْوَأَوَاءُ فِي صِيَاغَتِهَا أُسْلُوبَ الشَّرْطِ، وَاخْتَارَ مِنْ أَدَوَاتِهِ مَا يُفِيدُ
امْتِنَاعَ الْجَوَابِ لِامْتِنَاعِ الشَّرْطِ أَلَا وَهُوَ الْحَرْفُ "لَوْ"، قَالَ لَوْ أَنَّ الْعُشْبَ وَالنَّبَاتَ يَنْبُتُ فِي خَدِّ
الْإِنْسَانِ، وَيُسْقَى بِمَاءِ الدَّمْعِ لَتَكَوَّنَتْ فِي خَدَّيْهِ، أَيِ الْوَأَوَاءِ، لِغَزَارَةِ دُمُوعِهِ مَزَارِعُ مِنَ النَّبَاتَاتِ
وَالْأَرْهَارِ الْمُتَعَدِّدَةِ الْأَلْوَانِ وَالْأَشْكَالِ، يَقُولُ:⁴ [مخلع البسيط]

كَمْ زَفَرَاتٍ وَكَمْ دُمُوعٍ هَذَا لَعَمْرِي هُوَ الْقُطُوعُ
لَوْ أَعْشَبَ الْخَدُّ مِنْ دُمُوعٍ لَكَانَ فِي خَدِّي الرَّيْبُ

¹ المصدر السابق، ص 64.

² الواواء: ديوانه، ص 274.

³ المصدر السابق، ص 141-142.

⁴ المصدر السابق، ص 138.

وَفِي مَقْطُوعَةٍ أُخْرَى تَحَدَّثَتْ عَنْ وَصَالِ الْمَحْبُوبَةِ لَهُ بَعْدَ فِتْرَةٍ طَوِيلَةٍ مِنَ الْقَطِيعَةِ وَالْفِرَاقِ، فَحِينَمَا عَلِمَ بِقُدُومِهَا بَكَى بَكَاءً شَدِيداً، وَذَرَفَ دَمْعاً غَزِيْرًا، وَقَدْ صَوَّرَ تِلْكَ الدَّمُوعَ حَيْثُ جَعَلَ عَيْنِيهِ مَصْدَرَ الدَّمْعِ نَبَعَ مَاءٍ لَا تَنْضَبُ مِيَاهُهُ وَلَا تَنْتَبِي، وَلِضَاعَفَةِ الْمُبَالَغَةِ الَّتِي يَسْعَى إِلَى إِظْهَارِهَا، يَقُولُ إِنَّهُ إِذَا مَا نُصِبَتْ رَحَى بِجَانِبِ عَيْنِيهِ، وَصُرِفَتْ دَمُوعُهُ إِلَيْهَا، لَدَارَتْ تِلْكَ الرَّحَى عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ثَقَلِ وَزْنِهَا، يَقُولُ:¹

[الوافر]

أَتَانِي زَائِرًا مَن كَانَ يُبْدِي لِي الْهَجَرَ الطَّوِيلَ وَلَا يَزُورُ
فَقَالَ النَّاسُ لِمَا أَبْصَرُوهُ: لِمَهْنِكَ زَارَكَ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ
فَقُلْتُ لَهُمْ، وَدَمْعُ الْعَيْنِ يَجْرِي عَلَى خَدِّي لَهُ دُرٌّ نَثِيرُ:
مَتَى أَرَعَى رِيَاضَ الْحُسْنِ مِنْهُ وَعَيْمِي قَدْ تَضَمَّنَهَا غَدِيرُ!
وَأَلَوْ نَصَبُوا رَحَى بِإِزَاءِ دَمْعِي لَكَانَتْ مِنْ تَحْدَرِهِ تَدْوِيرُ!

وَلِكَثْرَةِ بُكَاءِ الْوَأْوَاءِ عِنْدَ رُؤْيَةِ الْمَعْشُوقَةِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ إِغْمَاضَ عَيْنَيْهِ؛ لِأَنَّ جُفُونَهُ تَتَقَلَّصُ وَيَصْغُرُ حَجْمُهَا، بِسَبَبِ مَا لَقِيَتْهُ مِنْ تَعَبٍ وَإِجْهَادٍ، يَقُولُ فِي هَذَا الْمَعْنَى:² [مجزوء الكامل]

فَدَمْعُ عَيْنِي إِذْ رَأَتْ هُوَ تَجُودُ بِالْدَمْعِ الْمَصُونِ
مَا تَطْعَمُ الْإِغْمَاضَ مِنْ قِصْرِ الْجُفُونِ عَنِ الْجُفُونِ

يُسْتَخْلَصُ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الْوَأْوَاءَ شَاعِرٌ مَرْهَفٌ حَسَّاسٌ، وَعَاشِقٌ مُتَيَّمٌ بَكَى عَلَى فِرَاقٍ مَن يَعَشَقُ، وَعَلَى صُدُودِهِ وَهَجْرَانِهِ، فَذَرَفَ دَمْعاً غَزِيْرًا، فَوَصَفَهُ، وَاعْتَمَدَ فِي وَصْفِهِ لَهُ، فِي مُعْظَمِ الْأَحْيَانِ، عَلَى الصُّورَةِ الْوَلُونِيَّةِ الَّتِي اسْتَمَدَّهَا مِنْ بَعْضِ الْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ وَالْمَعَادِنِ الثَّمِينَةِ كَاللُّوْلُو، وَالذُّرِّ، وَالْيَاقُوتِ، وَالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةِ، وَمِنْ بَعْضِ أَدْوَاتِ الزَّيْنَةِ كَالْكُحْلِ، وَالْكَافُورِ، وَقَضْبًا عَنْ ذَلِكَ فَقَدْ اعْتَمَدَ فِي تَصْوِيرِهَا عَلَى غُنْصُرِ الْمُبَالَغَةِ وَالتَّهْوِيلِ اعْتِمَادًا كَبِيرًا؛ رَغْبَةً فِي إِظْهَارِ كَثْرَتِهَا وَغَزَارَتِهَا.

ج: تَصْوِيرُ طُولِ لَيْلِهِ، وَمَا يُصِيبُهُ فِيهِ مِنْ أَرْقٍ وَقَلْقٍ وَسَهَادٍ:

مِنَ الْوَسَائِلِ الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا الشَّاعِرُ الْوَأْوَاءَ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الْأَلَمِ وَالْمُكَابَدَةِ وَالشَّقَوِقِ الَّتِي يُعَانِيهَا، وَيَكْتَسِبُ بِنَارِهِ نَتِيجَةَ فِرَاقِ مَحْبُوبَتِهِ وَصُدُودِهَا وَهَجْرَانِهَا، وَصَفُ اللَّيْلِ، وَالتَّرْكِيزُ عَلَى إِبْرَازِ طُولِ

¹ الوأواء: ديوانه، ص110-111.

² المصدر السابق، ص234.

سَاعَاتِهِ وَامْتِدَادِهَا تَرْكِيزًا كَبِيرًا، حَتَّى يَظْهَرُ وَكَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ نِهَايَةٌ، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ:¹

[البسيط]

أَمَّا لِتَطْوِيلِ هَذَا اللَّيْلِ تَقْصِيرُ مِنْ شَفَقَةِ الشَّقْوَى فِي شَكْوَاهُ مَعْدُورُ
بَانَ الْحَبِيبُ فَاِلْمَامِي بِهِ كَمُّ بَعْدَ الْبِعَادِ وَزُورَاتِي لَهُ زُورُ

وعبر عن هذه الفكرة في العديد من الصور الدالة، وقد لجأ إلى الغلو؛ ليظهر المعاناة والمكابدة والحزن الذي يعانيه، ومن ذلك أنه جعل الليل -لشدة طول ساعاته وامتدادها- شيئاً ضائعاً ضالاً لا يتمكّن صاحبه، أي الصباح، من العثور عليه، ثم يصور بكاءه على المحبوبة، فهو لكثرة الدموع التي انحدرت من عينيه، تحول ظلام الليل الأسود إلى بياض ناصع، وفي هذا ما يكشف عن نفسيّة الوأواء المدمرة، وحالة الشوق والحنين والأرق التي كان يعيشها عند نظم هذه الأبيات، يقول:²

[الطويل]

رَعَى اللَّهَ لَيْلًا ضَلَّ عَنْهُ صَبَاحُهُ وَطَيْفُكَ فِيهِ لَا يُفَارِقُ مَضْجَعِي
وَلَمْ أَرْ مِثْلِي غَارَ مِنْ طُولِ لَيْلِهِ عَلَيْهِ كَأَنَّ اللَّيْلَ يَعْشَقُهُ مَعِي
وَمَا زِلْتُ أَبْكِي فِي دُجَاهِ صَبَابَةٍ مِنْ الْوَجْدِ حَتَّى ابْيَضَّ مِنْ فَيْضِ أَدْمَعِي

[الكامل]

ويلجأ الوأواء إلى تكرار شيء من الصورة السابقة، ومن ذلك قوله:³

فَلرَبِّ لَيْلٍ ضَلَّ عَنْهُ صَبَاحُهُ فَكَأَنَّهُ بِكَ خَطَرَةُ الْمُتَفَكَّرِ

وفي موضع آخر، شبه ليله بليل النساء اللواتي يندبن أبناءهن بعد فقدهم، بجامع الطول وشدة المعاناة، حيث لا يعرف الإنسان فيه شرقه من غربه ولا شماله من جنوبه، يقول:⁴

[الطويل]

وَلَيْلٍ كَلَيْلِ الثَّاكِلَاتِ لَيْسَتْهُ مَشَارِقُهُ لَا تَهْتَدِي لِلْمَغَارِبِ

¹ الوأواء: ديوانه، ص112.

² المصدر السابق، ص141-142.

³ المصدر السابق، ص108.

⁴ المصدر السابق، ص18.

وفي صورةٍ جديدةٍ مُعَبَّرَةٌ دالَّةٌ على طول لَيْلِهِ، يُصَوِّرُهُ بِغَرَابٍ أَسْوَدَ لَفَّ الأَرْضَ بِجَنَاحَيْهِ
وَاحْتَضَّتْهَا، فَأَصْبَحَتْ سُودَاءَ مُظْلِمَةٍ، لَا يُرَى فِيهَا النُّورَ، وَهَذَا أَيْقَنَ أَنَّ الصَّبَاحَ لَنْ يَنْبَلِجَ، وَأَنَّ
اللَّيْلَ لَنْ يَنْتَبِي، يَقُولُ:¹

أَطَالَ لَيْلَ الصُّدُودِ حَتَّى يَسِسْتُ مِنْ غُرَّةِ الصَّبَاحِ
كَأَنَّهُ إِذَا دَجَا غُدَافٌ قَدْ حَضَنَ الأَرْضَ بِالْجَنَاحِ²

وَيَبَالُغُ فِي تَصْوِيرِ لَيْلِهِ الطَّوِيلِ المُمْتَدِّ، فَيَشْعُرُ بِأَنَّهُ لَا حُدُودَ لَهُ وَلَا نَهَايَةَ، وَقَدْ عَبَّرَ عَنِ ذَلِكَ فِي
قَوْلِهِ:³

وَلَيْلٍ كَفِكْرِي فِي صُدُودِ مُعَدِّي وَإِلَّا كَأَنْفَاسِي عَلَيْهِ مِنَ الوُجُدِ
وَإِلَّا كَعُمُرِ الهَجْرِ مِنْهُ فَإِنَّهُ إِذَا قَسَّتْهُ بِالْوَصْفِ كَانَ بِلَا حَدِّ

وَاللَّيْلُ عِنْدَهُ يُشْبِهُ نَفْسَ العَاشِقِ فِي طَوْلِهِ، بَلْ هُوَ أَطْوَلُ مِنْهُ، يَقُولُ:⁴ [الخفيف]
رُبَّ لَيْلٍ أَمَدٌ مِنْ نَفْسِ العَا شِقِي طَوْلًا قَطَعْتُهُ بِانْتِحَابِ

وَصَوَّرَ الوَأَوَاءَ لَحَظَاتِ اللَّيْلِ المُمْتَدِّ، المُنْتَجِدَّةِ كَوَاكِبُهُ وَنَوْمُهُ بِلِحَظَاتِ انْفِصَالِ العَاشِقِينَ،
وَسَاعَاتِ فِرَاقِهِمْ، وَكَأَنَّ الوَقْتَ -أَنذَاكَ- لَا يَنْقُضِي، يَقُولُ:⁵

وَلَيْلٍ مِثْلِ يَوْمِ البَيْنِ طَوْلًا كَوَاكِبُهُ إِذَا أَقَلَّتْ تَعُودُ
يُدَافِعُ نَوْمَهَا فِيهِ انْتِبَاهًا فَأَعْيُنُهَا مُفَتَّحَةٌ زُقُودُ

وَيُكْرِّرُ هَذِهِ الصُّورَةَ فِي قَوْلِهِ:⁶ [الوافر]
وَلَيْلٍ مِثْلِ يَوْمِ البَيْنِ طَوْلًا كَأَنَّ ظَلَامَهُ لَوْنُ الصُّدُودِ

¹ الوأواء: ديوانه، ص 69.

² الغداف: هو الغراب، وَخَصَّ بَعْضُهُمْ بِهِ غُرَابَ القَيْظِ الضَّخْمِ الوَافِرِ الجَنَاحِينَ، وَالجَمْعُ غُدُفَانٌ. ابن منظور:
لسان العرب، مادة (غدف).

³ الوأواء: ديوانه، ص 87.

⁴ المصدر السابق، ص 262.

⁵ المصدر السابق، ص 76.

⁶ المصدر السابق، ص 86.

ولم يَنْسَ أن يُشِيرَ إلى ما يُصِيبُهُ مِن أَرْقٍ وَسُهَادٍ نَتِيجَةً هَجْرانِ المَحْبُوبِ وَبَيْنَهُ، وَمِن ذَلِكَ قَوْلُهُ:¹

[السريع]

لَا تُكْثِرُوا عَذْلًا وَلَا لَوْمًا لَمْ يُبْقِ حَرُّ الهَجْرِ لِي نَوْمًا
وَيَلِي عَالَى هَجْرانِ مَنْ هَجْرُهُ قَدْ سَامَنِي وَرَدَ الرَّدَى سَوْمًا
أَنْكَرَنِي حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ يَغْرِفُنِي مِنْ ذَهْرِهِ يَوْمًا

وَفِي فَكْرِ الشَّاعِرِ أَنَّ هُنَاكَ وَسِيلَتَيْنِ لِتَسْلِيَةِ النُّفْسِ، وَتَقْصِيرِ ذَاكَ اللَّيْلِ الطَّوِيلِ، أَمَّا أَوْلَاهُمَا، فَبِي شُرْبِ الخَمْرِ وَمُعَاقَرَتِهَا، يَقُولُ:²

[الطويل]

وَلَيْلٍ تَمَادَى طَوْلُهُ فَكَصَّرْتُهُ بِرَاحٍ تُعِيرُ المَاءَ مِنْ صَفْوِهَا صَفَا
وَأَمَّا ثَانِيَتُهُمَا، فَبِي لِقَاءِ مَنْ يَعْشَقُ، حَيْثُ يُصْبِحُ اللَّيْلُ -أَنَذَاكَ- قَصِيرًا جَدًّا، يَمُرُّ فِي لَحْظَاتٍ
قَلِيلَةٍ، كَتَلِكِ الَّتِي تَسْتَعْرِفُهَا حَفَقَةً مِنْ حَفَقَاتِ القَلْبِ، أَوْ قَبْلَةَ عَاشِقٍ يَأْخُذُهَا مِنْ مَحْبُوبَتِهِ عَلَى
عَجَلٍ وَحَذَرٍ، أَوْ تَحْتَاجُهَا رَمْشَةً عَيْنٍ، يَقُولُ:³

[الطويل]

وَلَيْلٍ طَوِيلٍ كَانَ لَمَّا قَرْنَتْهُ بِرُؤْيَا مَنْ أَهْوَى قَصِيرَ الجَوَانِبِ

د: الإقرار بالذل والهوان، والعبودية للمحبوبة:

صَرَخَ الوَأْوَاءُ بِالذَّلِّ وَالهَوَانِ الَّذِي أَصَابَهُ مِنَ الحُبِّ، وَبِالعُبُودِيَّةِ لِلْمَحْبُوبَةِ الَّتِي قَابَلَتْهُ بِالصُّدُودِ
وَالهَجْرانِ وَالبَيْنِ وَالإِعْرَاضِ، وَذَلِكَ نَتِيجَةُ السَّعْيِ وَرَاءَهَا: رَغْبَةً فِي إِرْضَائِهَا وَالحُصُولِ عَلَى
عَطْفِهَا وَوِصَالِهَا، وَقَدْ صَوَّرَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:⁴

[الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنِّي بَعْتُ عِزِّي بِذِلَّةٍ وَطَاوَعْتُ مَا تَهْوَى لِطَوَعِكَ مَا تَشَا

[مجزوء الرمل]

وَهُوَ رَاضٍ بِذِلَّةٍ فِي الحُبِّ وَمُسَلِّمٌ بِهِ، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ:⁵

أَنْتَ بِالعِزَّةِ مَاضٍ وَأَنَا بِالذَّلِّ رَاضٍ

¹ الواواء: ديوانه، ص 213.

² المصدر السابق، ص 10.

³ المصدر السابق، ص 26.

⁴ المصدر السابق، ص 9.

⁵ الواواء: ديوانه، ص 137.

هَلْ سَمِعْتُمْ بِغَزَالٍ صَادَ لَيْثًا فِي غِيَاضِ !؟
بِأَبِي رِيْمٍ رَمَى قَلْبُ بِمِي بِأَحْدَاقِ مِرَاضِ

وَبِفِعْلِ خِبْرَتِهِ الطَّوِيلَةِ فِي العِشْقِ وَالهِبَامِ، يُقَدِّمُ نَصِيحَةً لِلْعَاشِقِينَ جَمِيعِهِمْ فَيُوصِيهِمْ فِيهَا بِضُرُورَةِ الخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ لِلْمَحْبُوبِ الَّذِي يَعْزُ وَصَالُهُ، فَرُبَّمَا يَحِنُّ عَلَى العَاشِقِ وَيَجُودُ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنَ الوِصَالِ وَاللِّقَاءِ، يقول:¹

[البسيط]

أخْضَعُ إِذَا عَزَّ مَنْ تَهَوَّى وَذَلَّ لَهُ فَوَدُّ أَهْلَ الهَوَى أَبْقَى إِذَا خَضَعُوا
وَجَعَلَ نَفْسَهُ عَبْدًا طَائِعًا لِمَنْ يَعْشَقُ، لَا يُرِيدُ مِنْهُ سِوَى الرِّضَى، كَمَا أَنَّهُ جَعَلَ مَحْبُوبَهُ سَيِّدًا لَهُ يُلْقِي عَلَيْهِ الأوامِرَ، وَقَدْ رَكَّزَ عَلَى هَذَا المَعْنَى وَكَزَّرَهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَشْعَارِهِ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ مُحَاوِلًا اسْتِعْطَافًا مَعْشُوقِهِ وَاسْتِرْضَاءً وَاسْتِنَارَةً حَفِيظَتِهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَحْصُلَ عَلَى قُرْبِهِ وَوِصَالِهِ:²

[مجزوء الكامل]

يَا سَيِّدِي كَمْ ذَا البِعَا دُ أَمَا لَهُ يَوْمًا دُنُو !
أَغْرَيْتَ قَلْبِي بِالْغَرَا مِ فَمَا لَهُ مِنْهُ سُلوُ
أَهْبَطْتَ قَلْبِي بَعْدَ مَا أَعْلَى مَرَاتِبَهُ العُلُوُ
فَرَأَى صَدِيقِي شَيْنَهُ وَرَأَى مَسَرَّتَهُ العَدُوُ

وَهَا هُوَ ذَا يَسْتَحْلِفُ المَحْبُوبَةَ وَيَطْلُبُ مِنْهَا بِنُوعٍ مِنَ التَّرَجِّيِ أَلَّا تُخَاطِبَهُ بِعِبَارَةٍ (سَيِّدِي) عِنْدَ الحَدِيثِ مَعَهُ، لِأَنَّ السَّادَةَ لَا يُخَاطَبُونَ عِيْبَدَهُمْ بِمِثْلِ هَذَا القَوْلِ، يقول:³

[الكامل]

إِنِّي سَأَلْتُكَ بِالنَّبِيِّ ((محمدي)) وَوَصِيَّةِ الهَادِي الأَمِينِ المِهْتَدِي
وَبِحُبِّ مَنْ أَغْرَى فَوَادَكَ حُبُّهُ بِصَبَابَةٍ مَمزُوجَةٍ بِتَجَلُّدِ
وَبِسِحْرِ مَنْطِقِكَ الَّذِي سُلْطَانُهُ حُكْمٌ يَجُورُ عَلَى القُلُوبِ وَيَعْتَدِي
هَلَا هَجَرْتَ بِفِيكَ قَوْلِكَ: سَيِّدِي مَوْلىً يَقُولُ لِعَبِيدِهِ: يَا سَيِّدِي!

¹ المصدر السابق، ص 139.

² المصدر السابق، ص 247.

³ المصدر السابق، ص 89.

وَيُصَرِّحُ الْوَأَوَاءُ بِأَنَّهُ عَبْدٌ طَائِعٌ لِمَنْ يُحِبُّ، فَهُوَ يَفْعَلُ كُلَّ مَا يَرِيدُهُ مِنْهُ، إِلَى دَرَجَةِ أَنَّهُ يَمُوتُ عَلَى
الْفُورِ وَدُونَ تَرَدُّدٍ أَوْ تَفَكُّيرٍ إِذَا مَا طَلَّبَ مِنْهُ ذَلِكَ، يَقُولُ:¹

[مجزوء الكامل]

بِاللَّهِ يَا سَطَّوَاتِ هَجْرِهِ لَا تَعْجَلِي بِخُلُولِ ضُرِّهِ
لَوْ قَالَ لِي: مُتُّ طَاعَةً مَا عِشْتُ بَعْدَ سَمَاعِ أَمْرِهِ

[مجزوء الكامل]

وَيَقُولُ:²

لَوْ قَالَ لِي: مُتُّ طَاعَةً لِأَطْعَمْتُهُ وَقَبِلْتُ أَمْرَهُ

وَالْوَأَوَاءُ يَفْتَخِرُ كُلَّ الْاِفْتِخَارِ بِعُبُودِيَّتِهِ لِلْمَعشُوقَةِ، إِذْ صَرَخَ بِأَنَّهُ يَكْفِيهِ شَرْفًا وَعِزًّا وَنُبْلًا أَنْ يَكُونَ
عَبْدًا لَهَا يَأْتَمِرُ بِأَمْرِهَا، يَقُولُ:³

[الخفيف]

سَيِّدِي أَنْتَ لَمْ أَقُلْ سَيِّدِي أَنْ سَتَ لَأْتِي عَدَدْتُ نَفْسِي أَهْلًا
أَنَا حُرٌّ وَالْحُرُّ يَشْهَدُ أَلِّي لَكَ عَبْدٌ فَاكْتُبْ بِذَلِكَ سِجْلًا
شَرَفِي إِنْ رَضِيَتْ بِي لَكَ مَمْلُوءُ كَأَ وَحَسَمِي بِذَلِكَ عِزًّا وَنُبْلًا

ه: تَمَيَّي الْمَوْتِ وَطَلَّبَهُ:

كَانَ الْوَأَوَاءُ مُتَعَلِّقًا بِالْمَرَاةِ الْمَحْبُوبَةِ تَعَلُّقًا شَدِيدًا، وَلَا يَسْتَطِيعُ الْعَيْشَ بَعِيدًا عَنْهَا، فَإِذَا مَا فَارَقَتْهُ
وَبَانَتْ عَنْهُ أَصَابَهُ الْيَأْسُ مِنَ الْحَيَاةِ، وَخَطِمَتْ نَفْسُهُ وَدُمِّرَتْ مَشَاعِرُهُ، وَأَصْبَحَ يَتَمَيَّي الْمَوْتِ وَيَطْلُبُهُ:
لَأَنَّهُ فِيهِ يَحْصُلُ عَلَى الرَّاحَةِ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي يُعَانِي مِنْهُ، وَلَقَدْ عَبَّرَ عَنِ هَذِهِ الْفِكْرَةِ فِي كَثِيرٍ مِنْ
أَشْعَارِهِ، وَمِمَّا قَوْلُهُ فِي إِحْدَى مَقْطُوعَاتِهِ الْغَزَلِيَّةِ بَعْدَ ذِكْرِ مُعَانَاتِهِ وَأَلَمِهِ:⁴

[المنسرح]

مَنْ كَانَ مِثْلِي فَالْمَوْتُ رَاحَتُهُ وَالْمَوْتُ وَاللَّهِ دُونَ مَا أَجِدُ

[البسيط]

وَقَوْلُهُ:⁵

شَغَلْتُ قَلْبِي وَسَمِعِي فِي مَوَدَّتِكُمْ لَا خَلَصَ اللَّهُ قَلْبِي مِنْ مَحَبَّتِكُمْ

¹ الواواء: ديوانه، ص 117.

² المصدر السابق، ص 118.

³ المصدر السابق، ص 182.

⁴ المصدر السابق، ص 76.

⁵ الواواء: ديوانه، ص 66.

ولا زُرُفْتُ حِياَةً بَعْدَ بَينِكُمْ إِنَّ لَمَ أُمْتُ نَدَمًا مِنْ بَعْدِ فُرْقَتِكُمْ
هَما قَدْ غَضِبْتُ عَلى رُوحِ لِأَجَلِكُمْ حَتى جَفَوْتُ حِياتى عِنْدَ جَفَوَتِكُمْ

وَفى مَقْطُوعَةٍ أُخْرى يُعْرَبُ عَن حَجَلِهِ وَحَياِيهِ مِنْ بَقائِهِ عَلى قَيدِ الحِياَةِ بَعْدَ بَينِ المَحْبُوبَةِ
وَفِراقِها، ثُمَّ يَرى أَنَّ طَلَبَهُ المَوتِ لَيسَ غَريبًا، وَإِنَّمَا الغَريبُ العَجيبُ هُوَ بَقاؤُهُ حَياً، يَقُولُ:¹

[البسيط]

وَاحْجَلْتى مِنْ بَقائى بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ إِذ لَيسَ لى فى حِياتى بَعْدكم أربُ
وَلَيسَ مَوتى عَجيبًا بَعْدَ بَينِكُمْ وَإِنَّمَا فى حِياتى بَعْدكم عَجَبُ

وَهَما هُوَ ذا يُعائِبُ المَنيَّةَ التى لَم تَقْبِضْ رُوحَهُ بَعْدَ رَجيلِ المَحْبُوبَةِ وَفِراقِها، فى قولِهِ:²

[البسيط]

هُوَ الفِراقُ فَعِشْ إِذ شِئْتَ أَوْ قَمْتِ لَيسَ الحِياَةُ إِذا بانُوا بِمُعْجَبَتى
وَيَحِ المَنيَّةُ إِذ سارَتْ رِكايمُهُمْ لَو أَنَّها قَبَضَتْ رُوحى لِأَحْسَنَتِ

وَإِذا كانَ الحالُ كَذلكَ فَلَيسَ مِنَ المُسْتَعْرَبِ أَنَّ يُقَدِّمَ الشَّاعِرُ رُوحَهُ هَديَّةً رَخيصةً لِلْمَحْبُوبَةِ،
فَكُلُّ ما يَهْمُهُ هُوَ بَقاؤُها فى نَعيمٍ وَسَلامٍ وَخَيرٍ حَتى لَو كانَ ذلكَ عَلى حِسابِ حِياتِهِ، وَهَذا يُمَثِّلُ غَايَةَ

[الكامل]

العَفافِ وَالإِخْلاصِ فى الحُبِّ، يَقُولُ:³

لا تُنْكَرِ ما بى فَلَيسَ بِمُنْكَرٍ عِنْدَ التَّفَرُّقِ حَيزَةُ المُتَحَبِّرِ
هَما هَذا رُوحى إِلىكَ هَديَّةً فَتَجَمَّلِ فى أَخذِها أَوْ فاعْزِرِ

يَتَّضِحُ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الوَواءَ صَوَّرَ فى غَزَلِياتِهِ المَعنَوِيَّةِ الطَّاهِرَةِ العَفيْفَةِ، المُعاناةَ وَالأَلَمَ وَالْحُزْنَ
الذى يَشْعُرُ بِهِ مِنَ الحُبِّ، وَمِنْ صُدُودِ المَحْبُوبَةِ وَهَجرانِها وَفِراقِها لَها، وَقَدِ اسْتَعْمَلَ لِإِبرازِ ذلكَ
العَديدَ مِنَ الوَسائِلِ وَالأساليبِ الدَّالَّةِ المُعَبَّرَةِ، وَهُوَ يَهْدانا مُلتَزِمًا بِما أوصى بِهِ كَبارُ الشُّعراءِ وَالنُّقادِ
تَلامِيذُهُمُ وَحَتَّوهُمُ عَليهِ، فَها هُوَ ذا أَبُو تَمامٍ يُوصِى تَلميذَهُ البُحْثَرى بِذلكَ، فى قولِهِ: "إِن أَرَدتَ
التَّشبيبَ فَاجعَلِ اللفظَ رَشيقًا، وَالمعنى رَقيقًا، وَأَكثِرِ فىهِ من بَيانِ الصَّبابةِ، وَتَوَجَّعِ الكَابةِ، وَقَلِّ

¹ المصدر السابق، ص 34.

² المصدر السابق، ص 60.

³ المصدر السابق، ص 107.

الأشواق، ولَوْعَة الفراق"¹، وَفِي مِثْلِ هَذَا الْمَعْنَى قَالَ قُدَامَةُ بْنُ جَعْفَرٍ: "يجب أن يكون النسيب الذي يتم به الغرض هو ما كثرت فيه الأدلة على التهلك في الصبابة، وتظاهرت فيه الشواهد على إفراط الوجد واللوعة، وما كان فيه من التصابي والرقّة أكثر مما يكون من الخشن والجلادة، ومن الخشوع والذلة أكثر مما يكون فيه من الإباء والعز، وأن يكون جماع الأمر فيه ما ضاد التحافظ والعزيمة، ووافق الانحلال والرخاوة، فإذا كان النسيب كذلك فهو المصاب به الغرض"².
وَأَكَّدَ ذَلِكَ أَبُو هِلَال الْعَسْكَرِيُّ فِي قَوْلِهِ: "وينبغي أن يكون التشبيب ... دالاً على شدة الصبابة، وإفراط الوجد، والتهلك في الصبوة ... ويكون برياً من دلائل الخشونة والجلادة، وإمارات الإباء والعزة ... ويُستجاد التشبيب أيضاً إذا تضمّن ذكر التشوق والتذكر لمعاهد الأحبة بهبوب الرياح، ولمع البروق، وما يجري مجراها من ذكر الديار والآثار ... وكذا ينبغي أن يكون التشبيب دالاً على الحنين والتحصّر وشدة الأسف"³

ثانياً: اللوم والعدل:

يُشَكِّلُ لَوْمُ اللَّائِمِينَ وَعَدْلُ الْعَادِلِينَ مَظَاهِرًا مِنْ مَظَاهِرِ غَزَلِ الْوَأَوَاءِ، حَيْثُ يُشِيرُ فِي بَعْضِ غَزَلِيَّاتِهِ إِلَى اللَّوْمِ وَالْعَدْلِ الشَّدِيدِ الَّذِي يَتَعَرَّضُ لَهُ فِي عِشْقِهِ؛ وَذَلِكَ نَتِيجَةً لِمَا أَصَابَهُ مِنْ سَقَمٍ وَهَزَالٍ وَضَعْفٍ وَبِلَاءٍ، لِكُنْهَ يَقِفُ مَوْقِفًا سَلْبِيًّا مُعَادِيًّا مِمَّنْ يَلُومُونَهُ، وَيُصْرِحُ بِأَنَّهُ لَمْ وَلَنْ يَسْتَمَعَ لِنَصَائِحِهِمْ وَإِرْشَادَاتِهِمْ، يَقُولُ:⁴

[الوافر]

بَلَيْتُ لِأَتْنِي بِكَ قَدْ بُلَيْتُ فَلَسْتُ بِمُنْتَهٍ مِمَّا تُهَيْتُ
أَلَامٌ وَقَدْ أَصَمَّ الْحُبُّ سَمْعِي وَيُرْشِدُنِي الْعَدُولُ وَقَدْ عَمَيْتُ

¹ الخُصْرِي، أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِي الْقِيْرَوَانِي: زَهْرُ الْأَدَابِ وَثَمَرُ الْأَلْبَابِ، تَفْصِيلُ وَضَبِطُ وَشَرْحُ زَكِي مِبَارَكٍ، تَح: مُحَمَّدٌ مَحْيِي الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، ط4، بِيْرُوت: دَارُ الْجَيْلِ، 1972، 1/152.

² ابن جعفر، أبو الفرج قدامة: نقد الشعر، تَح: مُحَمَّدٌ عَبْدِ الْمُنْعَمِ خَفَاجِي، بِيْرُوت: دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، (د.ت)، ص134.

³ العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: الصناعتين (الكتابة والشعر)، تَح: مَفِيدٌ قَمِيحَةٌ، ط1، بِيْرُوت: دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، 1981، 145-ص146.

⁴ الوأواء: ديوانه، ص62.

وَرَسَمَ الْوَأَوَاءُ صُورَةً قَاتِمَةً مُنْفَرَةً لِنَ يَلُومُهُ فِي حُبِّهِ، إِذْ جَعَلَهُ رَسُولًا لِإِبْلِيسَ، حَيْثُ يَدْعُوهُ إِلَى مُمَارَسَةِ الْأُمُورِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَجَعَلَهُ كَمَنْ يُمَارِسُ فِعْلاً شَادِئًا شَنِيعًا قَبِيحًا مُخَالِفًا لِلدِّينِ، عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ عِشْقَهُ لِلْغِلْمَانِ شَرِيفٌ نَبِيلٌ مُوَافِقٌ لِلْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ !!!، يقول: ¹ [الخفيف]

أَكْثَرْتَ لَوْمِي بِغَيْرِ تَنْفِيسٍ مَا أَنْتَ إِلَّا رَسُولُ إِبْلِيسِ
جَفَنِي مِنَ الدَّمْعِ مُوسِرٌ وَمِنَ السَّدِّ سَوَةٌ قَلْبِي مِنَ الْمَفَالِيسِ
مَنْ لَامَنِي فِي الْحَبِيبِ كَانَ كَمَنْ يَضْرِبُ فِي مَسْجِدٍ بِنَاقُوسِ

وَرَأَى الشَّاعِرُ يُدَافِعُ عَن حُبِّهِ، وَيُبَرِّرُ عِشْقَهُ، لِلرَّدِّ عَلَى أَوْلِيكَ الْعَاذِلِينَ وَإِسْكَاتِهِمْ، وَقَدْ اعْتَمَدَ فِي ذَلِكَ عَلَى مُبَرَّرٍ وَاحِدٍ، أَلَا وَهُوَ حُسْنُ مَحْبُوبِيَّتِهِ وَجَمَالِهَا السَّاحِرِ الْفَتَّانِ، يقول: ² [المديد]

وَالهَوَى لَا خِفْتُ عَاذِلَتِي فِي هَوَى مَن جَلَّ عَن صِفَتِي
مَنْ لَحَانِي عَن هَوَاهُ فَفِي وَجْهِهِ الْفَتَّانِ مَعْذِرَتِي
وَيَقُولُ: ³ [أحد الكامل]

نَطَّقَ الْجَمَالَ بِعُذْرٍ عَاشِقَهَا لِلْعَاذِلِينَ فَأُخْرِسَ الْعُذْلُ

وَلِيُقْنِعَ الْعُذَالَ الَّذِينَ يُحَاوِلُونَ مُحَاوَلَاتٍ ذَائِبَةً أَنْ يُوقِعُوا شَيْئًا مِنَ الْقَطِيعَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَعشُوقَتِهِ، لِيُقْنِعَهُمْ بِاسْتِحَالَةِ عُدُولِهِ عَنْهَا وَتَرْكِهَا، فَإِنَّهُ يُوضِّحُ لَهُمْ أَنَّ الْعُدْلَ وَاللُّومَ الَّذِي يَسْمَعُهُ لَا يَزِيدُهُ إِلَّا تَعَلُّقًا وَتَمَسُّكًا بِهَا، وَعِشْقًا لَهَا؛ لِذَا صَرَخَ لَهُمْ بِحُبِّهِ وَمِيلِهِ إِلَى الْإِسْتِمَاعِ إِلَى عُدْلِهِمْ: كَيْ يَبْقَى ذِكْرُ مَحْبُوبَتِهِ جَارِيًا عَلَى مَسَامِعِهِ دَوْمًا، وَهَذَا أَقْصَى أَمَانِيهِ، يقول: ⁴ [البسيط]

لَوْ كَانَ يَغْلَمُ عُدَّالِي بِمَا صَنَعُوا لِأَقْصَرُوا عَن مَلَامِي فِيكَ وَارْتَدَعُوا
زَادُوكَ عِنْدِي، إِذْ عَابُوكَ، مَنزِلَةً كَأَنَّهُمْ رَفَعُوا مِنْكَ الَّذِي وَضَعُوا
فَمَنْ يَكُنْ فِيهِ عَن عُدَّالِهِ صَمَمٌ فَإِنِّي فِيكَ لِلْعُدَّالِ مُسْتَمِعٌ
حُبًّا لِذِكْرِكَ أَنْ يَجْرِي عَلَى أُذُنِي فَلْيُقْصِرُوا عَن مَلَامِي فِيكَ وَلْيَدَعُوا

¹ المصدر السابق، ص 127.

² المصدر السابق، ص 64.

³ المصدر السابق، ص 190.

⁴ الوأواء: ديوانه، ص 138.

ثَالِثًا: الْوُفُوفُ عَلَى الْأَطْلَالِ:

يُشَكِّلُ الْوُفُوفُ عَلَى أَطْلَالِ الْمَحْبُوبَةِ وَوَصَفُهَا أَحَدَ الْعَنَاصِرِ الْمُهَيِّمَةِ فِي غَزَلِ الْوَأْوَاءِ، فَهِيَ هُوَ ذَا
يَصِفُ مَا أَصَابَهَا مِنْ بَلَاءٍ وَدَمَارٍ وَهَلَاكِ وَسُكُونٍ وَانْعِدَامٍ لِلْحَرَكَةِ نَتِيجَةً لِلارْتِحَالِ عَنْهَا، وَذَلِكَ فِي
قَوْلِهِ:¹

[الكامل]

لَمِنِ الرَّسُومِ بِ— ((رَامَتَيْنِ))² بَلِينَا كَسَيْتَ مَعَالِمَهَا الْهَوَى وَعَرِينَا
دَمْنٌ فُطْمَنَ مِنَ الصَّبَى وَتَبَدَّلْتُ حَرَكَاتِهِنَّ مِنَ الْغَرَامِ سَكُونَا

وَيَصِفُهَا بِأَنَّهَا صَارَتْ مَكَانًا خَالِيًا مُقْفِرًا تَلْعَبُ فِيهِ رِيَا حُ الشَّمَالِ وَرِيَا حُ الْجَنُوبِ:³ [الطويل]

أَمْعَى الْهَوَى غَالَتْكَ أَيْدِي النَّوَابِجِ فَأَصْبَحْتَ مَغْنَى لِلصَّبَا وَالْجَنَائِبِ

وَتَوَقَّفَ الْوَأْوَاءُ فِي شِعْرِهِ عِنْدَ اثْنَيْنِ مِنْ مُكَوِّنَاتِ الْأَطْلَالِ، وَهُمَا الْأَثَافِي وَالنُّؤْيُ، وَصَوَّرَهُمَا
مُسْتَعْمِلًا تَشْبِيهِيَيْنِ مُسْتَمَدَّيْنِ مِنْ عِلْمِ الْكِتَابَةِ وَالْحَطِّ، حَيْثُ شَبَّهَ الْأَثَافِي بِالنَّقْطِ الثَّلَاثِ الَّتِي تُوضَعُ
فَوْقَ حَرْفِ الثَّاءِ، وَجَعَلَ النُّؤْيَ مِثْلَ حَرْفِ النُّونِ فِي اسْتِدَارَتِهِ وَالتَّفَافِيهِ، يَقُولُ:⁴ [الطويل]

أَثَافٍ كَنَقْطِ الثَّاءِ فِي طَرْسِ دِمْنَةٍ وَنُؤْيٍ كَدَوْرِ النُّونِ مِنْ حَطِّ كَاتِبِ

أَمَّا سَبَبُ إِقْبَالِهِ عَلَى الْأَطْلَالِ وَالْوُفُوفِ عَلَيْهَا، فَهُوَ الشَّقُوقُ وَالْحَنِينُ الَّذِي يَمَلَأُ قَلْبَهُ لِلْمَحْبُوبَةِ،
وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ مُخَاطَبًا أَحَدَ الْأَطْلَالِ:⁵

[الطويل]

أَرَى الشَّقُوقَ يُلْجِئِي إِلَيْكَ كَمَا التَّجَا إِلَى الرَّيِّ مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ رُبَاكِ

[الطويل]

وَيَشْكُو الشَّاعِرُ لِلْأَطْلَالِ هُمُومَهُ وَأَحْزَانَهُ وَوَجْدَهُ فِي قَوْلِهِ:⁶

أَرْبَعُ الْبِلَى إِنِّي إِلَيْكَ لَشَاكِ وَإِنِّي عَلَى وَجْدِي عَلَيْكَ لَبَاكِ

وَمَا ذَاكَ مِنْ بُقْيَا عَلَيْكَ وَإِنَّمَا لِعِشْقِ بُكَائِي فِيكَ حُبٌّ هَلَاكِ

¹ المصدر السابق، ص 214.

² رامتين: مفردها رامة، وهي منزل بينه وبين الرَّمَادَةِ لَيْلَةً فِي طَرِيقِ الْبَصْرَةِ إِلَى مَكَّةَ، وَمِنْهُ إِلَى أَمْرَةٍ، وَهِيَ أَخْرَبِلَادُ بَنِي تَمِيمٍ، وَبَيْنَ رَامَةِ وَالْبَصْرَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ مَرِحَلَةً. الْحَمُوي، ياقوت: معجم البلدان، 20/3.

³ الواواء: ديوانه، ص 16.

⁴ الواواء: ديوانه، ص 17.

⁵ المصدر السابق، ص 171.

⁶ المصدر السابق، ص 171.

وَيَسْتَوْقِفُ أَصْحَابَهُ عَلَى تِلْكَ الْأَطْلَالِ: كَيْ يَذْرِفُوا مَعَهُ الدُّمُوعَ الْغِزَارَ عَلَى مَا أَصَابَهَا مِنْ تَغْيِيرٍ
وَدَمَارٍ وَهَلَاكٍ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:¹

[الطويل]

قِفُوا مَا عَلَيْكُمْ مِنْ وَقُوفِ الرِّكَائِبِ لِنَبْنِيزٍ مَذْخُورِ الدُّمُوعِ السَّوَائِبِ

وَهَا هُوَ ذَا يَدْعُو لِيَتْلِكَ الْأَطْلَالَ بِالسُّقْيَا وَالْخَيْرِ؛ كَيْ تُذَكِّرَهُ بِالْمَحْبُوبَةِ دَوْمًا:² [الطويل]

سَقَى اللَّهُ أَجَالَ الْهَوَى فِيكَ لِلْبَقَا مُدَامَ الْأَمَانِي مِنْ تُغُورِ الْحَبَائِبِ

وَيَذْعُو لَهَا بِدَوَامِ الْإِشْرَاقِ وَالْهَيَاءِ وَالْجَمَالِ، وَيَأْنُ تُبْعَثَ فِيهَا الْحَيَاةُ مِنْ جَدِيدٍ:³ [الطويل]

أَيَا دِمْنَةَ اللَّذَاتِ لَا زَالَ دَائِمًا عَلَيْنِكَ مِنَ الْإِشْرَاقِ نُورٌ بِهَائِكَ

وَيُلَاحِظُ مِنْ اسْتِعْرَاضِ وَقُوفِ الشَّاعِرِ الْوَأَوَاءِ عَلَى الْأَطْلَالِ أَنَّهُ ذَكَرَ بَعْضَ عَنَاصِرِ الْحَيَاةِ الْبَدَوِيَّةِ (النُّوْيِ وَالْأَثَافِي)، وَجَاءَ عَلَى ذِكْرِ بَعْضِ الْأَمَاكِينِ مِنْ شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ (رَامَتَيْنِ وَمُنْعَجِ اللَّوَى)، وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا لَيْسَ إِلَّا تَقْلِيدًا كَانَ يُقْلِدُ بِهِ الشُّعْرَاءُ السَّابِقِينَ؛ حَتَّى لَا يَخْرُجَ عَنِ السَّمْتِ الَّذِي التَّرْمُوهُ، حَيْثُ أَشَارَ ابْنُ رَشِيْقِ الْقَيْرَوَانِيُّ إِلَى أَنَّ بَعْضَ الشُّعْرَاءِ كَانُوا يَذْكُرُونَ فِي أَشْعَارِهِمْ أَسْمَاءَ الْأَمَاكِينِ الَّتِي ذَكَرَهَا الشُّعْرَاءُ الْقَدَامَى اقْتِدَاءً بِهِمْ وَاتِّبَاعًا لِمَا أَلْفَنَتْهُ طِبَاعُ النَّاسِ.⁴

وَفِي خَاتِمَةِ اسْتِعْرَاضِ الْغَزْلِ الْمَعْنَوِيِّ فِي شِعْرِ الْوَأَوَاءِ، تَجَدُّدُ الْإِشْرَاقِ إِلَى أَنَّ عِفَّتَهُ تَتَوَجَّحُ مِنْ خِلَالِ وَصْفِهِ لِمَوْقِفِ وَدَاعٍ لِلْمَحْبُوبَةِ الرَّاحِلَةِ، حَيْثُ أَشَارَ إِلَى أَنَّهُ وَدَّعَهَا بِالْمَتَّاجَاةِ مِنْ بَعِيدٍ بُلْغَةَ الْغُيُونِ، مِنْ خِلَالِ اسْتِرْاقِ النَّظَرَاتِ السَّرِيعَةِ إِلَيْهَا، وَبِالْإِشْرَاقِ لَهَا بِيَدِهِ مِنْ بَعِيدٍ، وَقَدْ عَبَّرَ عَنِ هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ:⁵

[البسيط]

وَدَّعَتْهَا وَلَهَيْبُ الشُّوقِ فِي كَبْدِي وَالْبَيْنُ يُبْعِدُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ

وَدَاعَ صَبَّيْنِ لَمْ يُمَكِّنْ وَدَاعُهُمَا إِلَّا بِالْحَاطِظِ عَيْنِي أَوْ بَنَانِي يَدِ

¹ المصدر السابق، ص 24.

² المصدر السابق، ص 17.

³ المصدر السابق، ص 171.

⁴ يُنظر: القيرواني، ابن رشيْق: العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، 1/225.

⁵ الوأواء: ديوانه، ص 91.

ثانياً: الغزلُ الحسبيُّ:

لَمْ يَكُنْ غَزَلُ الْوَأْوَاءِ كُلُّهُ مَعْنَوِيًّا عَفِيفًا هَيَّجًا بِالْبَيْتِ وَالشَّكْوَى، وَإِنَّمَا مِنْهُ مَا كَانَ حِسِّيًّا مَادِيًّا، يَدُورُ حَوْلَ جَسَدِ الْمَرَأَةِ وَيَتَّخِذُهُ مَحْوَرًا لَهُ، وَإِذَا مَا أَمَعْنَ الْبَاحِثُ النَّظَرَ فِي هَذَا النَّوْعِ الْأَخِيرِ فَإِنَّهُ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَقْسِمَهُ إِلَى قِسْمَيْنِ اثْنَيْنِ، هُمَا: غَزَلُ حِسْبِيٍّ فَاحِشٍ، وَحِسْبِيٍّ غَيْرِ فَاحِشٍ، وَيَتَمَثَّلُ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا فِي أَنَّ الْغَزَلَ الْحِسْبِيَّ الْفَاحِشَ يَتَحَدَّثُ فِيهِ الشَّاعِرُ عَمَّا وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَحْبُوبَةِ مِنْ صِلَةٍ حِسِّيَّةٍ مَادِيَّةٍ، وَيَصِفُ مَعَامِرَاتِهِ الْجِنْسِيَّةَ مَعَهَا بِكُلِّ جُرْأَةٍ وَصَرَاحَةٍ، وَيُسْتَشْفُ مِنْهُ تَهَمُّهُ إِلَى جَسَدِ الْمَرَأَةِ وَسَهْوَتُهُ لَهُ، وَرَغْبَتُهُ فِي مُطَارَحَتِهَا الْغَرَامَ عَلَى الْفِرَاشِ، فَضْلاً عَنْ أَنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ بَعْضِ الْأَلْفَافِ الْفَاضِحَةِ وَالتَّعَابِيرِ الْمَكْشُوفَةِ الَّتِي تَخْدِشُ الْحَيَاءَ الْعَامَّ. أَمَّا الْغَزَلُ الْحِسْبِيُّ غَيْرُ الْفَاحِشِ، فَإِنَّهُ يَصِفُ جَسَدَ الْمَحْبُوبَةِ وَصِفًا دَقِيقًا، وَيَتَحَدَّثُ عَنْ مَفَاتِيحِهَا الْأَنْثَوِيَّةِ، وَيُشِيرُ بِهَا بِأَشْيَاءَ مَادِيَّةٍ حِسِّيَّةٍ، لَكِنْ دُونَ الْوُصُولِ إِلَى حَدِّ الْإِبْتِدَالِ وَالْإِسْفَافِ الْمَقْبُوتَيْنِ، وَالتَّهْتِكِ الْفَاضِحِ، وَلَيْسَ هَذَا الْعَيْبُ بِغَرِيبٍ عَنِ الْوَأْوَاءِ الدِّمَشْقِيِّ، فَقَدْ عَاشَ حَيَاةً لَاهِيَةً مَاجِنَةً غَابِثَةً بَعِيدَةً عَنِ الْأَخْلَاقِ وَالْعَقَّةِ، قَضَاهَا بَيْنَ الْجَوَارِي الْجَسَانِ، وَالرِّيَاضِ وَالزَّهَارِ وَالخُمُورِ، وَفِي الصَّفَحَاتِ الْآتِيَةِ تَفْصِيلٌ لِكِلَا النَّوْعَيْنِ وَبَيَانٌ لَهُمَا.

أ: الغزلُ الحسبيُّ الْفَاحِشُ:

يَشْتَمِلُ غَزَلُ الْوَأْوَاءِ عَلَى الْعَدِيدِ مِنَ الْمَقْطُوعَاتِ وَالْقَصَائِدِ الشَّعْرِيَّةِ الْفَاحِشَةِ الَّتِي وَصَفَ فِيهَا مَعَامِرَاتٍ حِسِّيَّةً وَسَرَدَ قِصَصًا جِنْسِيَّةً فَاضِحَةً حَصَلَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَحْبُوبَةِ، سَرَدًا مُفْصَلًا دَقِيقًا يَكْشِفُ عَنْ قَدْرِ كَبِيرٍ مِنَ التَّهْتِكِ وَالْإِبْتِدَالِ الَّذِي كَانَ يَعْيشُ فِيهِ وَيَقْضِي أَيَّامَهُ وَلِيَالِيهِ، وَمِنْ ذَلِكَ، وَصَفُهُ لِمُعَامِرَةِ حِسْبِيَّةٍ صَاغَهَا عَلَى هَيْئَةِ قِصَّةٍ مَلِيئَةٍ بِالْإِشَارَاتِ الْجِنْسِيَّةِ الْمُثِيرَةِ، وَقَدْ صَوَّرَ فِيهَا لِقَاءَهُ بِأَحَدِ الْفَتَيَاتِ الْجَسَانِ الْجَمِيلَاتِ اللَّائِي فَسَدَتْ أَخْلَاقُهُنَّ، وَذَلِكَ بِاعْتِرَافِهِ فِي قَوْلِهِ: (مُرَّةُ الْأَخْلَاقِ)، فَوَصَفَ مَشِيئَتَهَا الْمُتَدَلِّلَةَ الْمُتَعَنِّجَةَ وَهِيَ مُقْبِلَةٌ عَلَيْهِ، وَرَكَزَ عَلَى تَصْوِيرِ عَجْزِهَا الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَسَبَّبَتْ -لِثِقَلِهَا- فِي دَفْعِ صَدْرِهَا إِلَى الْأَمَامِ، ثُمَّ وَصَفَ مَا جَرَى بَيْنَهُمَا مِنْ اتِّصَالِ حِسْبِيٍّ مَادِيٍّ كَالْعَضِّ وَالْقِرْصِ وَمَصِّ اللَّسَانِ، لَكِنَّهَا وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَهْتِكِهَا وَانْجِلَالِ أَخْلَاقِهَا حَاوَلَتْ مَنَعَهُ مِنَ التَّمَكُّنِ مِنْهَا، إِذْ مَنَعَتْهُ مِنْ خَلْعِ السَّرْوَالِ الَّذِي تَرْتَدِيهِ، غَيْرَ أَنَّهُ هَدَّذَهَا بِأَيْمَانِهَا إِذَا مَا تَمَسَّكَتْ بِمَوْقِفِهَا الرَّافِضِ فَإِنَّهُ سَيَجْعَلُهَا تَخْلَعُهُ غَضَبًا عَنَّا، وَهَذَا مَا حَدَّثَ بِالْفِعْلِ، مِمَّا جَعَلَهُ يَتَمَكَّنُ مِنْهَا، يَقُولُ:¹

[الخفيف]

أنا أفدي مَكْتُومَةً لَا تُسَمَّى هَامَ قَلْبِي بِهَا هِيَامًا وَهَمًا

¹ الواواء: ديوانه، ص 208-209.

بَحْتُ مِنْهَا فِي الْحُبِّ أَعْمَى أَصَمًا
حُسْنَ بَدْرِ التَّمَامِ سَاعَةً تَمَّا
قَدَمَتْ صَدْرَهَا مِنَ الْمَثْيِ قُدَمَا
صُ، وَمَصُّ اللِّسَانِ مِنْهَا فَلَمَّا
تَهُ عَلَى الْقَدَمِ مَا ظَنَنْتُكَ قَدَمَا²
قَطَعَهَا هَيِّنٌ كَمَا أَشْرَبُ الْمَا
وَالْيَكِ الْخِيَارُ إِمَّا وَإِمَّا
أَنَا لَا أَسْتَطِيعُ فِي الْحُبِّ حِلْمًا
ثُمَّ يُكْفَى مِنَ الْعَزَالِ الْمُدْمَى
لَا بِجِسْمِي مِنْ أَيْنَ أَمْلِكُ جِسْمًا؟!

حُلُوهُ الْخُلُقِ مُرَّةُ الْخُلُقِ قَدْ أَصَبَ
أَقْبَلْتُ فِي تَمَامِهَا فَنَسِينَا
تَتَمَشَّى وَثِقْلُ رَأَيْفَتِيهَا¹
ثُمَّ طَالَ الْعِتَابُ، وَالْعَضُّ وَالْقَرُ
مَنَعْتَنِي مِنْ تِكَّةٍ ثُمَّ قَالَتْ:
قُلْتُ: جُودِي بِحَلِّي لِي وَإِلَّا
فَهِيَ وَقَفَّ مَا بَيْنَ حَلٍّ وَقَطْعٍ
قَالَتْ: احْلُمْ فَقُلْتُ: لِلْجَلْمِ وَقْتُ
قُلْتُ: لَا بُدَّ أَنْ يُدْمَى عَزَالٌ
فَتَلَقَّيْتُهَا بِرُوحِي وَقَلْبِي

وَيَبْرُزُ فِي الْقَصِيدَةِ أَعْلَاهُ اعْتِمَادُ الشَّاعِرِ فِي صِيَاغَتِهَا عَلَى الْأُسْلُوبِ الْقَصَصِيِّ، إِذْ تَشْتَمِلُ عَلَى
شَخْصِيَّتَيْنِ، هُمَا الشَّاعِرُ وَمَعشُوقَتُهُ، وَيَبْرُزُ فِيهَا عُنْصُرُ الْجَوَارِ الَّذِي يَضْطَلِعُ بِدَوْرٍ مُهِمٍّ فِي بِنَاءِ
الْقِصَّةِ وَتَطَوُّرِ أَحْدَاثِهَا، مُنْذُ أَنْ عَرَضَ الشَّاعِرُ عَلَى مَعشُوقَتِهِ أَنْ تُسَلِّمَهُ نَفْسَهَا، إِلَى أَنْ تَمَكَّنَ مِنْهَا
غَصْبًا عَنْهَا.

وَيَكشِفُ فِي إِحْدَى غَرَلِيَّاتِهِ الْمَاجِنَةَ عَنِ مُغَامَرَةِ جِسِّيَّةٍ خَاضَهَا مَعَ مَنْ يَعشَقُ، فَيُصْرِحُ بِأَنَّهُ
عَانَقَهُ، وَتَمَكَّنَ مِنْهُ وَقَضَى حَاجَتَهُ، وَحَصَلَ عَلَى كُلِّ مَا يُرِيدُ وَيَشْتَهِي، لَكِنْ مِنْ غَيْرِ الدُّخُولِ فِي
تَفَاصِيلِ هَذَا الْإِلْقَاءِ وَحَيثِيَّاتِهِ، يَقُولُ:³

وَنَلْتُ سُؤْلِي بِحُسْنِ مَا صَنَعَا
كَأَنَّهُ نَصْفُ دِرْهَمٍ قُطِعَا

عَانَقْتُ مَوْلَايَ عِنْدَ رُؤْيَيْتِهِ
مِنْ قَمَرٍ صَارَ فِي تَنْصُفِهِ

وَيُقَرُّ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بِالْأَفْعَالِ الْمُهْتَكَةِ الَّتِي قَامَ بِهَا مَعَ الْمَحْبُوبَةِ، حَيْثُ يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ قَبَّلَ قَمَرَهَا،
فَسَرِبَ مِنْهُ رَيْقًا كَالْخَمْرِ فِعْلًا وَمَدَاقًا، وَقَبَّلَ مِنْهَا خَدًّا كَالزَّهْرِ لَوْنًا وَنُعُومَةً وَرِقَّةً مَلْمَسًا، ثُمَّ يَتَحَدَّثُ

¹ الرَّانِفَتَيْنِ: مَثَقَى رَانِفَةٍ، وَهِيَ أَسْفَلُ الْأَلْيَةِ، وَقِيلَ: هِيَ مَنْتَهَى أَطْرَافِ الْأَلْيَتَيْنِ مِمَّا يَلِي الْفَخْدَيْنِ، وَقِيلَ: هِيَ نَاحِيَةُ
الْأَلْيَةِ. ابْنُ مَنْظُورٍ: لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَةٌ (رَنْفَ).

² التِّكَّةُ: رِبَاطُ السَّرْوَالِ، وَجَمْعُهَا تَكَّكَ. ابْنُ مَنْظُورٍ: لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَةٌ (تَكَّكَ). الْقَدَمُ مِنَ النَّاسِ: الْعَيْيُّ عَنِ الْحِجَّةِ
وَالكَلَامِ مَعَ ثِقَلٍ وَرَخَاوَةٍ وَقِلَّةِ فَهْمٍ، وَهُوَ أَيْضًا الْغَلِيظُ السَّمِينُ الْأَحْمَقُ الْجَافِي. السَّابِقُ، مَادَةٌ (فَدَم).

³ الْوَأَوَاءُ: دِيْوَانُهُ، ص 139.

عَنْ مُشَاهَدَتِهِ وَمُعَايَنَتِهِ لِبَعْضِ مَوَاضِعِ الْفِتْنَةِ وَالْإِعْرَاءِ مِنْ جَسَدِهَا الْأَبْيَضِ النَّاصِعِ الَّذِي يُنْبِرُ اللَّيْلَ
وَيَنْفِي ظَلَامَهُ، يَقُولُ:¹

[المتقارب]

تَرَسَّفْتُ مِنْ شَفَتَيْهِ الْعُقَارَا وَقَبَّلْتُ مِنْ حَدِيهِ الْجَلَنَارَا
وَشَاهَدْتُ مِنْهُ كَثِيباً مَهِيلاً وَغُصْنَا رَطِيباً وَبَدراً أَنَارَا
وَأَبْصَرْتُ مِنْ وَجْهِهِ فِي الظَّلَامِ بِكُلِّ مَكَانٍ بِلَيْلٍ نَهَارَا

وَتَحَدَّثَ الْوَأَوَاءُ عَنْ زِيَارَةِ الْمَحْبُوبَةِ لَهُ بَعْدَ فِتْرَةٍ مِنَ الْغِيَابِ وَالْجَفَاءِ، وَاعْتَرَفَ بِأَنَّهُ عَانَقَهَا وَارْتَكَبَ
مَعَهَا الْكَثِيرَ مِنَ الْآثَامِ وَالْأَوْزَارِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:²

[السرّيع]

زَارَ الْمُنَى وَالسُّؤْلُ إِذْ زَارَنِي وَكَانَ قِدْماً غَيْرَ زَوَارِ
يَا زُورَةً سَاعَدَ فِيهَا الْهَوَى بِحَمْلِ آثَامٍ وَأَوْزَارِ
عَانَقْتُ مَنْ أَهْوَى وَيَا طالِماً بَتُّ مِنَ الشُّوقِ عَلَى نَارِ
وَفَوْقَنَا الْبَدْرُ عَلَى نِصْفِهِ كَأَنَّهُ شِقْمُهُ دِينَارِ

وَأَغْلَبُ الظَّنِّ أَنَّ هَذِهِ الْمُعَامَرَةَ قَدْ تَمَّتْ فِي الطَّبِيعَةِ فِي إِحْدَى الرِّيَاضِ، وَفِي مُنْتَصَفِ الشَّهْرِ،
وَيُلَاحَظُ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ تَشْبِيهِهِ لِلْبَدْرِ -خِلَالَ عِنَاقِهِ لِلْمَحْبُوبَةِ- وَهُوَ فَوْقُهَا فِي السَّمَاءِ بِنِصْفِ دِينَارٍ
يَلْمَعُ وَيَتَلَأَلُ.

وَفِي إِحْدَى غَزَلِيَّاتِهِ الْفَاحِشَةِ يَتَحَدَّثُ عَنْ لَيْلَةٍ صَاحِبَةٍ قَضَاهَا فِي جَوْ الطَّبِيعَةِ مَعَ الْمَحْبُوبَةِ، وَهُوَ
يَلْتُمُهَا وَيُقْبِلُهَا، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:³

[الخفيف]

رَبِّ لَيْلٍ مَا زِلْتُ أَلْتِمُ فِيهِ قَمَراً لَابِساً غِلَالَةَ وَرْدِ
وَالنُّرْيَا كَأَنَّهَا كَفُّ خُودِ دَاخَلَتْهَا لِلْبَيْنِ رِعْدَةٌ وَجِدِ
لَمْ تُطِقْ دَفْعَهَا عَنِ الْوَجْدِ حَتَّى قَطَعَتْهَا لِلْبَيْنِ مِنْ أَصْلِ زَنْدِ

وَفِي مَقْطُوعَةٍ أُخْرَى تَفُوحُ مِنْهَا رَائِحَةُ الْمَهْتِكِ وَالْإِبْتِدَالِ، يَكْشِفُ الْوَأَوَاءُ عَنْ تِلْكَ الْعِلَاقَةِ
الْحَمِيمِيَّةِ بَيْنَ الْعُشَاقِ، حَيْثُ يَصِفُ مَوْقِفَ لِقَائِهِ وَوَصَالِهِ لِلْمَحْبُوبَةِ، وَعِنَاقِهِ لَهَا بَعْدَ أَنْ دَفَعَهَا
إِلَيْهِ الشُّوقُ وَالْحَيْنُ مَادِدَةً يَدَهَا النَّاعِمَةَ لَهُ، وَقَدْ ضَمَّنَ الشَّاعِرُ هَذِهِ الْمَقْطُوعَةَ وَصفاً جَسِيئاً مُثَبِّراً

¹ الواواء: ديوانه، ص 269.

² المصدر السابق، ص 116-117.

³ المصدر السابق، ص 80.

لِلْمَحْبُوبَةِ، فَشَعْرُهَا الْأَسْوَدُ الطَّوِيلُ مُنْسَدِلٌ عَلَى خَدَّيْهَا وَمُؤَلَّفٌ عَلَى هَيْبَةِ حَرْفِ الْوَاوِ فِي انْتِنَائِهِ
وَاعْتِكَافِهِ، وَخَصَرُهَا دَقِيقٌ رَقِيقٌ رَشِيقٌ، يَقُولُ:¹

كَتَبْتُ فِي نَهَارِ خَدِّ أَنْيَقِ وَأَوْ لَيْلٍ مَلِيحَةَ التَّفْرِيقِ
وَتَبَدَّتْ بِمُؤَلَّةٍ تَرشُقُ الْقَلْبَ سَبَّ بِالْحَاطِظِهَا وَقَدِّ رَشِيقِ
ثُمَّ مَدَّتْ إِلَيَّ كَفًّا مِنَ اللَّوْ لُو فِيهَا أَنْامِلٌ مِنْ عَقِيقِ
فَاعْتَنَّفْنَا عَلَى الطَّرِيقِ كَأَنَّا مَا عَلَيْنَا لِنَظَرٍ مِنْ طَّرِيقِ

وَوَصَفَ -كَذَلِكَ- كَيْفَ قَامَتْ مَحْبُوبَتُهُ خِلَالَ إِحْدَى التَّجَارِبِ الْجِنْسِيَّةِ بِتَغْطِيطِهِ وَتَغْطِيطِ نَفْسِهَا
بِشَعْرِهَا الْأَسْوَدِ الْحَالِكِ الطَّوِيلِ؛ خَوْفًا مِنَ الرُّقْبَاءِ وَالْوَشَاءِ، ثُمَّ صَوَّرَ نَفْسَهُ مَعَ الْمَحْبُوبَةِ لِشِدَّةِ
بَيَاضِ جَسَدَيْهِمَا بِالصُّبْحِ الْمُنْبَلِّجِ خِلَالَ الظَّلَامِ الْمُطْبِقِ وَاللَّيْلِ التَّهِيمِ الْحَالِكِ السَّوَادِ، وَلِهَذَا التَّشْبِيهِ
دَلَالَتُهُ الْجِنْسِيَّةُ الْخَالِصَةُ، إِذْ يُشِيرُ إِلَى تَجَرُّدِهِمَا مِنَ الْمَلَابِسِ، وَقَدْ عَبَّرَ عَنِ ذَلِكَ كُلِّهِ فِي قَوْلِهِ:²

[الكامل]

خَفْتُ الرَّقِيبَ فَجَلَّلْتَنِي شَعْرُهَا وَتَجَلَّلْتُ مِنْ خَوْفِ وَاشٍ يَزْمُقُ
فَكَأَنَّنا صُبْحَانَ فِي لَيْلٍ حَوَى فَجَرْنِ بَيْنَهُمَا ظَلَامٌ مُطْبِقُ
نَخْفَى إِذَا خِفْنَا وَنَبْدُو تَارَةً فِيهِ وَأَخْيَانًا يَغِيبُ وَيُشْرِقُ
وَعُيُونُنَا قَدْ خَالَفتْ رُقْبَاءُنَا وَقُلُوبُنَا لِلْبَيْنِ مِنْهُمْ تَخْفُقُ

وَيَصِفُ الْوَأْوَاءَ لِحَظَّةِ لِقَائِهِ بِالْمَحْبُوبِ، وَعِنَاقِهِمَا وَتَطْوِيقِهِمَا بَعْضُهُمَا بَعْضًا خِلَالَ فَتْرَةِ الصَّبَاحِ
فِي قَوْلِهِ:³

[المنسرح]

عَانَقْتُ بَدْرًا فِيهِ وَعَانَقَنِي فَصَارَ حَظِي مِنْ ذَيْنِ حَظَّيْنِ
وَالْبَدْرُ قَدْ وَشَحَّتْ يَدَاهُ مِنْ أَلِّ وَوَجِدِ الْأَعْنَاقِنا وَشَاحِيْنِ
كَأَنَّمَا كَانَ عَاشِقًا ظَفِرْتُ يَدَاهُ مِنْ هَجْرِنَا بِوَصَالَيْنِ
كَأَنَّنا وَالظَّلَامَ يَجْمَعُنَا صُبْحَانَ لَاحًا مِنْ تَحْتِ لَيْلَيْنِ

¹ الوأواء: ديوانه، ص 169.

² المصدر السابق، ص 166.

³ المصدر السابق، ص 225.

وَهَا هُوَ ذَا يُصَوِّرُ بِكُلِّ جُرْأَةٍ وَصَرَاحَةٍ زِيَارَةَ الْمَحْبُوبَةِ لَهُ صَبَاحًا، حَيْثُ دَعَتْهُ إِلَى نَفْسِهَا، وَيُصْرِحُ بِأَنَّهُ أَجَابَ دَعْوَتَهَا دُونَ تَرَدُّدٍ أَوْ تَمَثُّلٍ، وَقَامَ بِوَصَالِهَا حَسِيًّا، يَقُولُ: ¹ [مجزوء الرمل]

طَالَعْتَنِي كَطُلُوعِ الْـ طَالَعْتَنِي كَطُلُوعِ الْـ
كَصَبَاحِ تَحْتِ لَيْلٍ كَصَبَاحِ تَحْتِ لَيْلٍ
فَأَجْبِنَاهَا بِلا مَنْدٍ فَأَجْبِنَاهَا بِلا مَنْدٍ
وَوَصَلْنَاهَا وَمَنْ يَصُـ وَوَصَلْنَاهَا وَمَنْ يَصُـ

وَالْوَأَوَاءُ لَا يَأْتِيهِ بِأَنْ يَدْعُوَ الْمَحْبُوبَةَ الَّتِي جَمَعَتْ كُلَّ صِفَاتِ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ إِلَى أَنْ تُسَاعِدَهُ عَلَى نَفْيِ الشُّوقِ وَالسَّهْرِ وَالسَّقَمِ وَالضُّعْنِ الَّذِي يُعَانِيهِ، وَذَلِكَ بِأَنْ تَجُودَ عَلَيْهِ بِقُبْلَةٍ مِنْ قَمِيهَا وَبِرَشْفَةٍ مِنْ رِيْقِيهَا: ²

[الكامل]

يَا مَنْ حَوَتْ كُلَّ الْمُحَاسِنِ فِي الْوَرَى يَا مَنْ حَوَتْ كُلَّ الْمُحَاسِنِ فِي الْوَرَى
رِفْقًا بِمَنْ أَسْرَتْ عُيُونُكَ قَلْبَهُ رِفْقًا بِمَنْ أَسْرَتْ عُيُونُكَ قَلْبَهُ
وَتَعَطَّفِي جُودًا عَلَيَّ بِقُبْلَةٍ وَتَعَطَّفِي جُودًا عَلَيَّ بِقُبْلَةٍ
مَاتَتْ -أَطَالَ اللَّهُ عُمْرَكَ- سَلَوَتِي مَاتَتْ -أَطَالَ اللَّهُ عُمْرَكَ- سَلَوَتِي

وَتَجَدُّدُ الْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهُ كَثِيرًا مَا كَانَ يَجُنُّ إِلَى لِيَالِي اللَّقَاءِ وَالْوَصَالِ وَالْعِنَاقِ، وَيَتَوَقَّعُ إِلَيْهَا، فَهَا هُوَ ذَا يَدْعُو لَهَا بِالسُّقْيَا وَالْخَيْرِ: ³

[الطويل]

سَقَى اللَّهُ لَيْلًا طَالَ إِذْ زَارَ طَيْفُهُ سَقَى اللَّهُ لَيْلًا طَالَ إِذْ زَارَ طَيْفُهُ
بَطِيبِ نَسِيمٍ مِنْهُ يُسْتَجَلَبُ الْكُرَى بَطِيبِ نَسِيمٍ مِنْهُ يُسْتَجَلَبُ الْكُرَى
تَمَلَّكَنِي لَمَّا تَمَلَّكَ مُهْجَتِي تَمَلَّكَنِي لَمَّا تَمَلَّكَ مُهْجَتِي

وَلَا يَخْلُو هَذَا الضَّرْبُ مِنْ غَزَلِ الْوَأَوَاءِ مِنَ الْعِتَابِ، حَيْثُ يَبْدُو أَنَّهُ قُوبِلَ بِالصُّدُودِ وَالْهَجْرَانِ مِنَ الْمَحْبُوبَةِ بَعْدَ أَنْ حَصَلَ مِنْهَا عَلَى الْوُدِّ وَالْوَصَالِ، فَأَحَدٌ يُذَكِّرُهَا بِمَا جَرَى بَيْنَهُمَا مِنْ غَرَامٍ وَهَيْبَامٍ

¹ الواواء: ديوانه، ص 70-71.

² المصدر السابق، ص 268.

³ المصدر السابق، ص 164-165.

وَاتَّصَلَ جَسَدِيَّ وَمُعَامَرَةَ حَسِيَّةٍ فِي لَيْلَةٍ غَابَ عَنْهَا فِيهَا الرُّقْبَاءُ؛ فَلَعَلَّهُ بِذَلِكَ يَسْتَفْرِهُهَا وَيَسْتَتِيرُ حَفِيظَتَهَا، وَيَدْفَعُهَا لِلْعَوْدَةِ إِلَى وَصَالِهِ، يَقول:¹

[المُجْتَنِبُ]

أَعْقَبْتَ وَصُلَاً بِصَدِّ	لَمَّا تَحَقَّقْتَ وَدِّي
يَا نَاقِضاً كُلَّ عَهْدِ	يَا أَصْفَقَ النَّاسِ وَجْهًا
فِي الضَّمِّ رُوحاً لِقَرْدِ	لَا تَنْسَ لَيْلَةَ كُنَّا
يُذِيلُ قُرْباً بِبُعْدِ	وَمَا عَلَيْنَا رَقِيبٌ
كَالِدَرِّ فِي لَازُورِدِ	إِلَّا نُجُومٌ أَنْارَتْ

هَذِهِ هِيَ الْجِسِّيَّةُ الْمَادِّيَّةُ الْفَاحِشَةُ الْفَاضِحَةُ الَّتِي تَعْنَى بِهَا الْوَأَاءُ فِي شِعْرِهِ الْغَزَلِيِّ، فَبِئْسَ تَعَصُّ بِالْإِشَارَاتِ الْجَنَسِيَّةِ الْمُتَهَكِّةِ الْمُبْتَدَلَةِ وَالْتَعَابِيرِ الْفَاضِحَةِ الَّتِي تَنْحَدِرُ مَعَهَا الْأَخْلَاقُ، وَتُهْدِرُ الْعِفَّةُ، وَيُخْدِشُ الْحَيَاءَ الْعَامَّ، مِنْ مِثْلِ: الْعَضِّ، وَالْقَرَصِ، وَمَقَصِّ اللِّسَانِ، وَخَلَعْتُ غَذَارِي، وَتَمَّتْكَ سِتْرِي، وَالْثُمَّ، وَالضَّمِّ، وَالْتَقْبِيلِ، وَعَانَقْتُ، وَعَانَقِي، وَتَرَشَّفْتُ مِنْ شَفَتَيْهِ ...

ب: الْغَزَلُ الْجِسِّيُّ غَيْرُ الْفَاحِشِ:

يَضُمُّ دِيوَانَ الْوَأَاءِ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَشْعَارِ الْغَزَلِيَّةِ الْجِسِّيَّةِ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَ جَسَدِ الْمَرَأَةِ، وَتَشْرَحُهُ وَتَصِفُهُ وَصَفًا مَادِّيًّا، وَتُصَوِّرُ مَقَاتِنَهُ، وَتَتَعَنَّى بِمُغْرِبَاتِهِ لَكِنْ مِنْ غَيْرِ الْوُصُولِ - فِي مُعْظَمِ الْأَحْيَانِ - إِلَى مَرَحَلَةِ التَّهْتِكِ، وَالْخَلَاعَةِ، وَالْإِسْفَافِ، وَالْإِبْتِدَالِ، وَخَلَعِ الْعَذَارِ الَّذِي يَخْدِشُ الْحَيَاءَ وَلَا يُنَاسِبُ الدُّوقَ الْعَامَّ.

وَإِذَا مَا تَتَّبَعْنَا تِلْكَ الْأَشْعَارَ، نَجِدُ أَنَّ الشَّاعِرَ الْوَأَاءَ قَدْ رَسَمَ فِيهَا صُورَةً جَسَدِيَّةً مِثَالِيَّةً مُتَكَامِلَةً لِلْمَرَأَةِ الْمُحِبُّوبَةِ، وَمَوَاضِعَ الْإِعْرَاءِ وَالْفِتْنَةِ فِيهَا، وَقَدْ جَمَعَ كَثِيرًا مِنْهَا فِي قَوْلِهِ:² [الْخَفِيفُ]

فَتَنَّنَا سَوَالِفَ وَخُدُودِ	وَعَيُونََ فَوَاتِرَ وَقُدُودِ
وَوُجُوهَ مِثْلُ التَّوَاصِلِ بِيضِ	وَشُعُورَ مِثْلُ التَّقَاطِعِ سُودِ
مَلَكْنَا بِضِعْفِهِنَّ ظِبَاءَ	فَخَضَعْنَا لَهَا وَنَحْنُ أُسُودِ

¹ الوأاء: ديوانه، ص93.

² المصدر السابق، ص90.

وَيُصِرُّحُ الْوَأَوَاءِ بِأَنَّ الْمَحْبُوبَةَ أَكْثَرُ حُسْنًا وَجَمَالًا مِنَ الشَّمْسِ ذَاتِهَا، فَبَيَّ إِذَا مَا رَأَتْهَا اخْتَفَتْ خَجَلًا
وَحَيَاءً، يَقُولُ:¹

[البسيط]

إِنْسِيَّةٌ لَوْ بَدَتْ لِلشَّمْسِ مَا طَلَعَتْ مِنْ بَعْدِ رُؤْيَيْهَا يَوْمًا عَلَى أَحَدٍ

وَيُكْرِرُ الْمَعْنَى السَّابِقَ فِي الْقَالِبِ ذَاتِهِ مَعَ تَغْيِيرِ بَعْضِ الْأَلْفَاظِ فِي قَوْلِهِ:²

[البسيط]

إِنْسِيَّةٌ لَوْ رَأَتْهَا الشَّمْسُ مَا طَلَعَتْ مِنْ بَعْدِ رُؤْيَيْهَا يَوْمًا عَلَى أَحَدٍ

وَيَذَكِّرُ أَنَّ مَحْبُوبَتَهُ أَجْمَلُ مِنَ الْبَدْرِ، فَالْبَدْرُ ذَاتُهُ إِذَا مَا رَأَهَا فَإِنَّهُ يُصَابُ بِالْكُسُوفِ وَالْخَجَلِ،
وَيَخْتَفِي احتِزَامًا وَإِجْلَالًا لَهَا، وَاعْتِرَافًا بِأَنَّهَا تَفُوقُهُ حُسْنًا وَمَلَاخَةً وَإِشْرَاقًا، يَقُولُ:³

[مُخَلَعُ الْبَسِيطِ]

لَمْ يَبْدُ لِلْبَدْرِ قَطُّ إِلَّا أَخَجَلَهُ فَانْتَسَى كُسُوفًا

وَإِذَا قَالَ أَحَدُهُمْ -مُسْتَعْمِلًا التَّشْبِيهِ الْمَقْلُوبِ لِلْمُبَالَغَةِ فِي جَمَالِ الْمَحْبُوبَةِ- إِنَّ الْبَدْرَ يُشْبِهُهَا، فَإِنَّ
الْبَدْرَ يَعْتَرِضُ عَلَى هَذَا التَّشْبِيهِ، وَيَعْتَذِرُ لَهَا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمُسْتَوَى حُسْنِهَا وَجَمَالِهَا، وَلَيْسَ أَهْلًا لِلتَّشْبِيهِ
بِهَا، وَقَدْ عَبَّرَ الْوَأَوَاءُ عَنْ هَذِهِ الْفِكْرَةِ فِي قَوْلِهِ:⁴

[البسيط]

يَا ذَا الَّذِي تُخْجِلُ الْأَعْصَانَ قَامَتُهُ وَمَنْ لَهُ الْبَدْرُ وَجْهٌ وَالْدُّجَى شَعْرُ

وَمَنْ إِذَا قِيلَ: إِنَّ الْبَدْرَ يُشْبِهُهُ حُسْنًا أَتَى الْبَدْرُ مِمَّا قِيلَ يَعْتَذِرُ

وَيَصِفَ الْوَأَوَاءُ جَمَالَ الْمَحْبُوبَةِ بِأَنَّهُ مِثَالِي مُتَكَامِلٍ لَا مِثِيلَ لَهُ وَلَا مُشَابِهٍ، إِلَى الدَّرَجَةِ الَّتِي يَعْجَزُ
مَعَهَا الْوَصَافُونَ عَنْ وَصْفِهِ، يَقُولُ فِي ذَلِكَ:⁵

[البسيط]

جَلَّتْ مَحَاسِنُهُ عَنْ كُلِّ تَشْبِيهِ وَجَلَّ عَنْ مُشْبِهِ فِي الْحُسْنِ يَحْكِيهِ

انظُرْ إِلَى وَجْهِهِ وَاسْتَعْنِ عَنْ صِفَتِي سُبْحَانَ خَالِقِهِ سُبْحَانَ بَارِيهِ

¹ الواواء: ديوانه، ص 266.

² المصدر السابق، ص 85.

³ المصدر السابق، ص 146.

⁴ المصدر السابق، ص 118.

⁵ المصدر السابق، ص 251.

[المجتث]

وَيَقُول: ¹

أَفِيدِي الَّذِي شَفَّ قَلْبِي بِغُنْجِهِ وَالْتَبِيهِ
حَارَ الْكَمَالَ فَأَضْحَى بَدْرُ الدُّجَى يَحْكِيهِ
يُبْدِي غَرَائِبَ حُسْنِي جَلَّتْ عَنِ التَّشْبِيهِ

وَجَعَلَ الْوَأَوَاءَ وَجَهَ الْمَحْبُوبَةِ أَبْيَضَ اللَّوْنِ، مُشْرِقًا يَشْعُ مِنْهُ النُّورُ وَالصَّيَاءُ الَّذِي يُبْرِئُ الظُّلَامَ،
وَبِذَلِكَ فَهُوَ يُغْنِي عَنِ شُعْلَةِ النَّارِ الَّتِي يُسْتَضَاءُ بِهَا، وَيَتَّضِحُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ² [البسيط]

لَوْ أَنَّهُ فِي ظُلَامٍ لَأَسْتَنَارَ بِهَا لِأَنَّ إِشْرَاقَهَا يُغْنِي عَنِ السُّرُجِ

وَعَيْنَا الْمَحْبُوبَةِ -مَصْدَرُ السِّحْرِ وَالْجَمَالِ- وَاسِعَتَانِ شَدِيدَتَا الْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ، وَالْأَجْفَانُ فَاتِرَةٌ
مُنْكَسِرَةٌ ضَعِيفَةٌ مِنْ شِدَّةِ الْغَنَجِ وَالذَّلَالِ، وَكَأَنَّهَا مُصَابَةٌ بِمَرَضٍ عُضَالٍ: ³ [البسيط]

أَنْظُرْ إِلَى السِّحْرِ فِي عَيْنِيهِ وَالذَّعَجِ ⁴ كَأَنَّ أَجْفَانَهُ مَرَضَى مِنَ الْغُنْجِ

[الكامل]

وَيُكْرَهُ شَيْئًا مِمَّا سَبَقَ فِي قَوْلِهِ: ⁵

وَمَرِيضٍ كَرَّ اللَّحْظَ تَحْسَبُ أَنَّهَا أَجْفَانُهُ نَشَوَى بِلَا خَمْرِ

[البسيط]

وَفِي قَوْلِهِ: ⁶

كَأَنَّهَا اسْتَرْهَنْتُ ⁷ فِي نَاطِرِي سَقَمًا بِلَحْظِ أَجْفَانِهَا الْمَرَضَى مِنَ الْغُنْجِ

وَيَبْدُو أَنَّهُ أُعْجِبَ بِشَعْرِهَا وَكَيْفِيَّةِ تَصْفِيْفِهِ وَطَرِيقَةِ تَنْسِيقِهِ، فَوَصَفَهُ وَصْفًا بَارِعًا، فَهُوَ نَاعِمٌ
كَثِيفٌ مُنْسَقٌ عَلَى هَيْئَةِ مَجْمُوعَتَيْنِ مُتَخَالِفَتَيْنِ تُغَطِّيَانِ مَنَاقِبَهَا، وَشَبَّهَ هَذَا التَّنْسِيقَ بِالصُّورَةِ الَّتِي
تُكْتَبُ عَلَيْهَا كَلِمَةٌ (لا)؛ لِأَنَّهَا تَتَأَلَّفُ مِنْ حَظَيْنِ مُتَخَالِفَيْنِ، وَقَدْ أَحْسَنَ بِاسْتِخْدَامِ كَلِمَةِ (غَدَائِرُ)

¹ الوأواء: ديوانه، ص 253.

² المصدر السابق، ص 68.

³ المصدر السابق، ص 67.

⁴ الذَّعَجُ: شِدَّةُ سَوَادِ الْعَيْنِ، وَشِدَّةُ بَيَاضِ بَيَاضِهَا، وَقِيلَ شِدَّةُ سَوَادِهَا مَعَ سَعْتِهَا. ابْنُ مَنْظُورٍ: لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَةٌ (دَعَجُ).

⁵ الوأواء: ديوانه، ص 105.

⁶ المصدر السابق، ص 68.

⁷ استرهن فلان من فلان: طلب منه رهنا. مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، مادة (رَهَنَ).

لِلدَّلَالَةِ عَلَى كَثَافَةِ شَعْرِهَا وَنُعُومَتِهِ وَلَيُوتِيهِ، فَبَيِّ تَدُلُّ عَلَى جَمْعٍ، وَتَشْتَمِلُ عَلَى حَرْفِ الْأَلْفِ الَّذِي
يَحْمِلُ مَعَى اللَّيُونَةِ وَالنُّعُومَةِ، وَقَدْ عَبَّرَ عَنِ كُلِّ هَذَا فِي قَوْلِهِ:¹
[الطويل]

إِذَا أَسْبَلْتَ زَهْوَ غَدَائِرِ شَعْرِهَا تَوَشَّحَتْهَا مِنْ طَوْلِهَا بِالْمَنَاقِبِ
وخالفتها لما استجرن لنا بها كما خالفت في ((لا)) أنامل كاتب

وَشَعْرُ صَدْعِهَا الْأَسْوَدُ مُصَفَّفٌ عَلَى هَيْئَةِ حَرْفِ اللَّامِ، وَمُنْسِدِلٌ عَلَى جَانِبِي وَجْهِهَا، وَقَدْ
شَبَّهَ بِالْحَزْرِ الْأَسْوَدِ، بِجَامِعِ الْأَشْتِرَاكِ بِاللَّوْنِ، يَقُولُ:²
[البسيط]

تَقَنَّعَتْ بِالذُّحَى فَوْقَ الضُّحَى فَجَلَّتْ فِي عَاجٍ عَارِضِهَا لَاماً مِنَ السَّبْجِ³

وَدَمَجَ الْوَأَوَاءُ فِي بَعْضِ أَشْعَارِهِ بَيْنَ وَصْفِ هَيْئَةِ تَصْفِيفِ شَعْرِ مَنْ يَعَشِقُ وَلَوْنِهِ، فَهُوَ مُصَفَّفٌ
وَمُقَوَّسٌ فَوْقَ وَجْتِيهِ النَّاصِعَتَيْنِ الْمُشْرِقَتَيْنِ عَلَى هَيْئَةِ حَرْفِ اللَّامِ، وَلَوْنُهُ أَسْوَدٌ خَالِكٌ:⁴ [المنسرح]

صَوَّلُجٌ لَامَيْنِ فِي عِدَارَيْنِ فِي ذَهَبَيْنِ جَوْهَرَيْنِ
يَا بِأَبِي كَيْفَ شَقَمِي سَقَمًا سَوَادُ هَدَيْنِ فِي سَنَا ذَيْنِ

وَتَحَدَّثَ كَذَلِكَ- عَنِ صَدْعِي الْمَعَشُوقِ اللَّذِينَ صَفَّقَهُمَا فَوْقَ خَدَّيْهِ عَلَى هَيْئَةِ حَلَقَةِ دَائِرِيَّةٍ، الْأَمْرُ
الَّذِي جَعَلَهُ يَزْدَادُ حُسْنًا وَجَمَالًا وَسِحْرًا، يَقُولُ:⁵
[السرير]

مَرَّ بِنَا فِي قُرْطُقِي أَخْضَرَ مُزْرَفَنَ الْأَصْداغِ بِالْعَنْبَرِ⁶
قَدْ كَتَبَ الْحُسْنُ عَلَى خَدَيْهِ: يَا أَعْيُنَ النَّاسِ قِفي وَأَنْظُرِي!

وَشَبَّهَ شَعْرَ الصَّدْعِ الْمُنْسَقِّ عَلَى هَيْئَةِ حَرْفِ اللَّامِ فِي لَوْنِهِ بِالْحَزْرِ الْأَسْوَدِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:⁷
[البسيط]

¹ الوأواء: ديوانه، ص 25-26.

² المصدر السابق، ص 67.

³ السَّبْج: الحز الأَسْوَد، وهي كلمة دخيلة مُعَرَّبَةٌ. ابن منظور: لسان العرب، مادة (سبج).

⁴ الوأواء: ديوانه، ص 220.

⁵ الوأواء: ديوانه، ص 112.

⁶ القُرْطُق: القباء. ابن منظور: لسان العرب، مادة (قرطق). زرفن صُدغِيه: جعلهما كالحلقة. السابق، مادة (زرفن).

⁷ الوأواء: ديوانه، ص 67.

لَهُ مِنَ الدَّرِّ عِقْدٌ تَحْتَ شَارِبِهِ وَفَوْقَ أَصْدَاغِهِ لَامَانٍ مِنْ سَبِجٍ¹

وَجَعَلَ فِي مُبَالِغَةٍ وَاضِحَةٍ- شَعْرَ الْمَحْبُوبَةِ أَشَدَّ سَوَادًا مِنَ اللَّيْلِ الْحَالِكِ:² [البسيط]

وَزَائِرٍ رَاعَ وَجْهَ الْبَيْنِ مَنْظَرُهُ أَحْلَى مِنَ الْأَمْنِ عِنْدَ الْخَائِفِ الْوَجِلِ

أَلْقَى عَلَى اللَّيْلِ لَيْلًا مِنْ ذَوَائِبِهِ فَهَابَهُ الصُّبْحُ أَنْ يَبْدُو مِنَ الْخَجَلِ

وَلَقَدْ فُتِنَ الْوَأْوَاءُ بِالْخُدُودِ الْوَرْدِيَّةِ الْحَمْرَاءِ، فَسَمَّيَهَا بِزَهْرِ الرُّمَانَ فِي قَوْلِهِ:³ [البسيط]

إِنْ كَانَ فِي جُلْنَارٍ⁴ الْخَدِّ مِنْ عَجَبٍ فَالصَّهْدُ يَطْرُقُ رُمَانًا لِمَنْ يَرِدُ

وَسَمَّيَهَا كَذَلِكَ- بِالْوَرْدِ بِجَامِعِ الْأَشْتِرَاكِ فِي التُّعُومَةِ وَالرِّقَّةِ وَالصَّفَاءِ وَاللُّونِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:⁵

[الوافر]

تَبَارَكَ مَنْ كَسَا خَدَيْكَ وَرَدًا تَطَّلَعَ مِنْ فُرُوعِ الْيَاسْمِينِ

وَقَوْلُهُ:⁶ [مجزوء الرمل]

لِي حَبِيبٌ خَدُّهُ كَالْوَرْدِ حُسْنًا فِي بَيَاضِ

وَلِإِظْهَارِ شِدَّةِ نُعُومَتَيْهَا وَرِقَّتَيْهَا صَرَّحَ بِأَنَّ الْوَرْدَ ذَاتَهُ مَأْخُودٌ مِنْهُمَا:⁷ [البسيط]

الْتَّرَجِسُ الْعُضُّ مِنْ أَجْفَانِ مُقْلَتَيْهِ وَالْوَرْدُ مِنْ خَدَيْهِ وَالدَّرُّ مِنْ فِيهِ

وَفِي قَوْلِهِ:⁸ [الكامل]

لَطَمْتُ بِعُتَابِ الْبِنَانِ شَقَائِقَ الْوَجَنِاتِ لِي فِي مَاتِمِ الصَّدِّ

فَكَأَنَّهُ لَمَّا تَكَاثَفَ لَطْمُهَا فِي خَدَيْهَا مَسَّكَ عَلَى وَرْدٍ

¹ السَّبِجُ: الْخَرَزُ الْأَسْوَدُ، وَأَصْلُهُ سَبَجٌ. ابْنُ مَنْظُورٍ: لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (سَبِج).

² الْوَأْوَاءُ: دِيْوَانُهُ، ص 180-181.

³ الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ص 266.

⁴ الْجُلْنَارُ: زَهْرُ الرُّمَانَ. مَصْطَفَى، إِبْرَاهِيمُ وَأَخْرُونَ: الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ، مَادَّةُ (جُلْنَار).

⁵ الْوَأْوَاءُ: دِيْوَانُهُ، ص 228.

⁶ الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ص 134.

⁷ الْوَأْوَاءُ: دِيْوَانُهُ، ص 251.

⁸ الْمَصْدَرُ السَّابِقُ، ص 77.

صَوَّرَ الْبَنَانَ بِالْعَنَابِ، وَالْوَجْنَتَيْنِ بِشَقَائِقِ النُّعْمَانِ، وَوَقَّفَ عَلَى الرَّائِحَةِ الَّتِي تَنْبَعِثُ مِنَ الْخَدِّ
عِنْدَ اللَّطْمِ، وَجَعَلَهَا مِسْكَاً.

أُخْرَى شُمُوساً لَا تَنْطَفِئُ وَلَا يَغِيبُ نُورُهَا وَضِيَاؤُهَا، يَقُولُ:¹ [الطويل]

يُقِمِّنَ لَنَا بَرْقَ التُّغُورِ أَدِلَّةً إِذَا مَا ضَلَلْنَا فِي ظَلَامِ الدَّوَابِّ
شُمُوسٌ مَتَى تَبْدُو نُضْيَاءً لَنَا الدُّجَى فَمَشْرِقُهَا فِيهِ بِغَيْرِ مَغَارِبِ

وَلَقَدْ دَهَشَتْ أَسْنَانُهَا الْبَيْضَاءُ النَّاصِعَةُ اللَّامِعَةُ الْمُنْتَظَمَةُ الْمُرْتَبَةُ تَرْتِيباً مُحْكَمًا يَخْطِفُ عَقْلَ مَنْ
يَنْظُرُ إِلَيْهَا، الْوَأَوَاءُ، وَدَفَعَتْهُ إِلَى تَشْبِيهِهَا بِالذَّرِّ وَالْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ، يَقُولُ:² [المتقارب]

لَهُ ضَاحِكٌ بَرْقُهُ خَاطِفٌ عُقُولَ الرِّجَالِ إِذَا مَا ابْتَسَمَ
أَقُولُ لَهُ إِذْ بَدَا دُرُّهُ شَهْدَنَا لِصَانِعِهِ بِالْحِجَمِ
أَرَى الدَّرَّ يَنْقُبُهُ النَّاطِمُونَ وَمَا تَقَبُّوا ذَا فَكَيْفَ انْتَضَمَ!

وَمَا هُوَ ذَا يُشَبِّهُهَا بِحَبِيبَاتِ الْبَرَدِ الْمُتَجَمِّدَةِ الْمُنْسَاقِطَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:³ [الكامل]

مُتَبَسِّمٌ عَنِ لَوْلُؤِ رَطْبٍ حَكِي بَرْدًا تَسَاقَطَ مِنْ عُقُودِ سَمَاءِ

وَأَعْجَبَ الْوَأَوَاءُ بِالنُّهُودِ وَالنُّدَى الْمُسْتَدِيرَةِ، فَصَوَّرَهَا بِثَمَرَةِ الرُّمَّانِ فِي قَوْلِهِ:⁴ [البيسيط]

إِنْ كَانَ فِي جُلَّانَارِ الْخَدِّ مِنْ عَجَبٍ فَالَصِّدْرُ يَطْرُحُ رُمَّاناً لِمَنْ يَرِدُ

وَصَوَّرَهَا -كَذَلِكَ- بِالْبَدْرِ وَقَتَّ تَمَامِهِ فِي قَوْلِهِ:⁵ [الطويل]

وَتُنْظِرُ لِي مِنْ تَحْتِ أَرْزَارِ جَيْبِهَا إِذَا مَا بَدَتْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ بَدْرًا

¹ المصدر السابق، ص 26.

² المصدر السابق، ص 212.

³ المصدر السابق، ص 4.

⁴ الواواء: ديوانه، ص 266.

⁵ المصدر السابق، ص 104.

وَدَاتِ يَوْمِ رَأَى الْوَأْوَاءَ مَحْبُوبَتَهُ فَجَاءَهُ، فَغَطَّتْ وَجْهَهَا بِسَاعِدَيْهَا خَجَلًا وَحَيَاءً، فَلَاخِظَ جَمَالَ ذَلِكَ
السَّاعِدِ وَحُسْنَهُ وَضِيَاءَهُ، فَجَعَلَهُ عَمُودًا يُشِعُّ نُورًا وَضِيَاءً، وَجَعَلَ وَجْهَهَا الْأَبْيَضَ قَمْرًا يَنْبَعِثُ مِنْهُ
النُّورُ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:¹

[المنسرح]

قَدْ سَتَرْتُ وَجْهَهَا مِنَ الْخَفَرِ بِسَاعِدِي حَلَّ عِقْدَ مُصْطَبِرِي
كَأَنَّهُ -وَالْعُيُونُ تَرْمُقُهُ- عَمُودٌ نُورٍ فِي دَارَةِ الْقَمَرِ

وَيَبْدُو أَنَّهُ لَأَخِظَ الْمَحْبُوبَةَ وَقَدْ نَقَشَتْ مِعْصَمَهَا وَزَرَّكَشْتَهُ وَخَضَّبَتَهُ بِالْحِنَاءِ، فَأُعْجِبَ بِذَلِكَ
الْمَنْظَرِ، وَشَبَّهَهُ بِمَنْظَرِ النَّمْلِ وَهُوَ يَسِيرُ مُتتَالِيًا وَرَاءَ بَعْضِهِ بَعْضًا، وَبِالْبَرْدِ الَّذِي يَتَسَاقَطُ مِنَ
السُّحْبِ وَيَتَجَمَّعُ فِي كُتَلٍ تُشَكِّلُ مَنَاظِرَ مُمَبَّرَةً، يَقُولُ:²

[البسيط]

نَالَتْ عَلَى يَدِهَا مَا لَمْ تَنْلُهُ يَدِي نَقَشًا عَلَى مِعْصَمٍ أَوْهَتْ بِهِ جَلْدِي
كَأَنَّهُ طُرْقُ نَمْلٍ فِي أَنْامِلِهَا أَوْ رَوْضَةٌ رَصَعَتْهَا السُّحْبُ بِالْبَرْدِ

وَكَفَّ الْمَحْبُوبَةَ -كَبَقِيَّةٍ جَسَدِهَا- أَبْيَضُ نَاعِمٌ مُضِيءٌ يَشْفُ مِثْلَ الْمَاءِ، يَقُولُ:³ [البسيط]

لَهَا مِنَ الْمَاءِ كَفٌّ فِي أَنْامِلِهَا إِذْ صَافَحْتَنِي بِهِ نَارٌ عَلَى وَهَجٍ
تَكَادُ مِنْ لَمَعَانِ الْحُسْنِ تَسْتُرُهُ كَأَنَّمَا طَرَفَتْهُ مِنْ دَمِ الْمَهْجِ

وَفِي أَحَدِ مَجَالِسِ اللَّهْوِ وَالْمُجُونِ وَالْغِنَاءِ تَأَمَّلَ أَصَابِعَ مُغْنِيَةٍ وَهِيَ تَضْرِبُ عَلَى الْعُودِ بِمَهَارَةٍ فَائِقَةٍ
وَدَقِيقَةٍ مُتْنَاهِيَةٍ، فَفُئِنَ بِهَا، وَجَعَلَهَا قِطْعًا مِنَ الْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ (الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ) فِي قَوْلِهِ:⁴ [الطويل]

أَشَارَتْ بِأَطْرَافٍ لِطَافٍ كَأَنَّهَا أَنْامِلُ دُرٍّ قُمِعَتْ بِعَقِيْقِي
وَدَارَتْ عَلَى الْأُوتَارِ جَسًّا كَأَنَّهَا بَنَانُ طَبِيبٍ فِي مَجَسِّي عُرُوقِي

وَلَمْ يَنْسَ الْوَأْوَاءَ أَنْ يَقِفَ عِنْدَ اثْنَيْنِ مِنْ أَكْثَرِ مَوَاضِعِ الْإِثَارَةِ وَالْفِتْنَةِ فِي جَسَدِ الْمَرْأَةِ، وَهَمَّا
الْخَصْرُ وَالرِّدْفُ، فَوَصَفَهُمَا وَجَعَلَ الْخَصْرَ نَاجِلًا لَيْنًا أَهْيَفَ، وَجَعَلَ رِذْفَهَا عَظِيمًا مُمْتَلِنًا يَتَرَجَّحُ
وَرَاءَهَا، يَقُولُ:⁵

[البسيط]

¹ المصدر السابق، ص 102.² المصدر السابق، ص 265.³ المصدر السابق، ص 68.⁴ الوأواء: ديوانه، ص 275.⁵ المصدر السابق، ص 266.

وَحَصْرُهَا نَاجِلٌ مِثْلِي عَلَى كَفَلٍ مُرْجِرٍ قَدْ حَكَى الْأَحْزَانَ فِي الْخَلْدِ

وَهَا هُوَذَا يَتَغَيَّ بِضُمُورِ حَصْرِ الْمَحْبُوبَةِ وَهَيْفِهِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:¹ [مجزوء الكامل]

جَرَحَ الْفُؤَادَ بِصَدِيدِهِ مَنْ لَا يَرِقُّ لِعَبِيدِهِ
حُلُو الشَّمَائِلِ أَهْيَفُ فَضَحَ الْقَضِيبَ بِقَدِيدِهِ

وَقَوْلِهِ:² [المنسرح]

تَاءَ بِقَدِّ يُزْهِى بِهِ الْهَيْفُ كَأَنَّهُ فِي قَوَامِهِ الْإِفُ

وَلِلْمُبَالِغَةِ فِي إِظْهَارِ نُحُولِ جَسَدِ الْمَعْشُوقَةِ وَلِبَيِّنِهِ وَرِقَّتِيهِ، يُصْرِحُ الْوَأَوَاءُ بِأَنَّهُ يَخَافُ عَلَيْهَا إِذَا مَشَتْ عَلَى رِجْلَيْهَا أَنْ تَتَقَصَّفَ وَتَتَكْسَّرَ، يَقُولُ:³ [الكامل]

أَخْشَى عَلَيْكَ إِذَا مَشَيْتِ تَقْصُفًا وَكَذَا يُخَافُ عَلَى الْقَضِيبِ إِذَا نَشَا

وَإِذَا كَانَ حَصْرُ الْمَحْبُوبَةِ نَاجِلًا ضَامِرًا، فَإِنَّ رَدْفَهَا عَظِيمٌ مُمْتَلِئٌ ثَقِيلٌ إِلَى دَرَجَةِ أَنَّهُ يَمْنَعُهَا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ مِنَ التُّهُؤُصِ مِنْ مَجْلِسِهَا، وَقَدْ عَبَّرَ الْوَأَوَاءُ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ:⁴ [الرجز]

مَرِيضُ كَرِّ الطَّرْفِ مِنْ غَيْرِ مَرَضٍ كَأَنَّمَا قَتَلِي عَلَيْهِ مُفْتَرَضٌ
تُقْعِدُهُ أَرْذَافُهُ إِذَا نَهَضَ كَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مِنْهَا عِوَضٌ

وَالْمَحْبُوبُ مُنْعَمٌ مُتَرَفٌّ لَطِيفٌ حَسَّاسٌ إِلَى الدَّرَجَةِ الَّتِي لَا يَسْتَطِيعُ مَعَهَا حَمْلَ الْوِشَاحِ الَّذِي يَتَرَبَّنُ فِيهِ، وَذَلِكَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ خِفَّةِ وَزْنِهِ، يَقُولُ:⁵ [الكامل]

وَمَهْفَهْفٍ كَالْغُصْنِ هَزَّتَهُ الصَّبَا فَصَبَا إِلَيْهِ مِنَ الْفُتُونِ هَوَائِي
يُوهِيهِ حَمْلُ وَشَاحِهِ فَتَرَاهُ مِنْ تَرَفِّ النَّعِيمِ يَأْنُ فِي إِخْفَاءِ

وَفِي خَاتِمَةِ اسْتِعْرَاضِ هَذِهِ الْجُزْئِيَّةِ مِنْ غَزَلِ الْوَأَوَاءِ، تَجَدُّرُ الْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهُ جَمَعَ خَمْسَ اسْتِعْرَاضَاتٍ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ، الْأَمْرُ الَّذِي يُدُلُّ عَلَى بَرَاعَتِهِ الْفَنِيَّةِ وَشَاعِرِيَّتِهِ الْفَدَّةِ، مِمَّا دَفَعَ أَبَا هِلَالٍ الْعَسْكَرِيَّ إِلَى

¹ المصدر السابق، ص 89.

² المصدر السابق، ص 151.

³ المصدر السابق، ص 133.

⁴ الواواء: ديوانه، ص 135.

⁵ المصدر السابق، ص 3.

التَّعْبِيرِ عَنِ إِعْجَابِهِ فِيهِ بِقَوْلِهِ: "لا أعرف لهذا البيت ثانياً في أشعارهم"¹، وَفِيهِ شَبَّهَ الشَّاعِرُ دُمُوعَ الْمُحِبُّوبَةِ الْأَلَمِيعَةِ الَّتِي تَنْحَدِرُ مِنْ عَيْنَيْهَا بِحَبِيبَاتِ اللُّلُؤِ، وَعَيُونَهَا بِزَهْرِ الرَّجَسِ، وَجَعَلَ خُدُودَهَا وَرَدًا بِجَامِعِ النُّعُومَةِ وَالْحُمْرَةِ، وَشَبَّهَ أَنْامِلَهَا الْمُخَضَّبَةَ بِالْعُنَابِ الْأَحْمَرِ، وَأَسْنَانَهَا بِحَبِيبَاتِ الْمَاءِ الْمُتَجَمِّدِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:²

[البسيط]

قَالَتْ، وَقَدْ فَتَكْتُ فِينَا لَوَاحِظُهَا؛ كَمْ ذَا أَمَا لِقَتِيلِ الْحُبِّ مِنْ قَوْدٍ!
وَأَمْطَرْتُ لُؤْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ وَرَدًا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ

وَمِمَّا سَبَقَ يَبْدُو جَلِيًّا أَنَّ الْوَأَوَاءَ تَغَزَّلَ بِالْأُنثَى غَزَلًا حَسِيًّا غَيْرَ فَاحِشٍ، فَصَوَّرَ مَوَاضِعَ الْجَمَالِ وَالْفِتْنَةِ وَالْإِعْرَاءِ فِي جَسَدِهَا، كَالْوَجْهِ، وَالْخُدُودِ، وَالْأَسْنَانِ، وَالشَّعْرِ، وَالسَّاعِدِ، وَالْهُوْدِ، وَالْخُصُورِ، وَالْأُرْدَافِ مِنْ غَيْرِ إِسْفَافٍ أَوْ ابْتِدَالٍ وَامْتِهَانٍ، وَاسْتَعْمَلَ لِتَحْقِيقِ ذَلِكَ الْعَدِيدِ مِنَ الصُّورِ الَّتِي اعْتَمَدَ فِي صِيَاغَتِهَا عَلَى أَشْيَاءَ مَادِّيَّةٍ تَشْتَمِلُ عَلَى قَدْرِ مِنَ الرِّقَّةِ وَالنُّعُومَةِ الَّتِي تَنْتَاسِبُ مَعَ نُعُومَةِ الْمَرْأَةِ وَحَسَاسِيَّتِهَا، كَالدُّرِّ، وَالْيَاقُوتِ، وَالْوَرْدِ، وَزَهْرِ الرُّمَّانِ، وَشَقَائِقِ النُّعْمَانِ، وَالْمَاءِ، وَالْبَرْدِ، وَالشَّمْسِ، وَالْبَدْرِ.

¹ العسكري، أبو هلال: الصناعتين، ص251.

² الوأواء: ديوانه، ص83-84.

الخاتمة

لَقَدْ كَانَ الْوَأَاءُ الدِّمَشْقِيُّ شَاعِرًا حَسَّاسًا مُرْهَفًا رَقِيقًا غَزَلًا، فَالْغَزْلُ يَحْتَلُّ حَيِّزًا كَبِيرًا مِنْ دِيْوَانِهِ، وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ مُتَقَلِّبَ الْهَوَى مُتَنَقِّلًا فِي عِشْقِهِ مِنْ فِتَاةٍ إِلَى أُخْرَى، يَدُلُّنَا عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ عَلَى ذِكْرِ فِتَاةٍ بَعَيْنَهَا كَبَعْضِ الشُّعْرَاءِ، كَمَا أَنَّ كُتُبَ التَّرَاجِمِ لَمْ تَرَوْا أَخْبَارًا عَنِ عِلَاقَتِهِ بِمَحْبُوبَةٍ مَخْصُوصَةٍ بَعَيْنَهَا، فَضْلًا عَنِ حَيَاةِ الْهَوَى وَالْمُجُونِ وَالْفُسُوقِ الَّتِي عَاشَهَا وَالَّتِي أَتَا حَتَّى لَهُ أَنْ يَلْتَقِيَ بِالْعَدِيدِ مِنَ الْفَتَاتِ الْجَمِيلَاتِ اللَّاهِيَاتِ الْفَاسِقَاتِ وَيَتَغَزَّلَ بِهِنَّ، وَيُعَبِّرَ عَنِ إِعْجَابِهِ بِسِحْرِهِنَّ.

وَتَنْخَصِرُ غَزَلِيَّاتُ الشَّاعِرِ الْوَأَاءِ فِي اتِّجَاهَيْنِ اثْنَيْنِ، يُمَكِّنُ إِجْمَالُهُمَا كَمَا يَأْتِي:
أَوْلًا: الْغَزْلُ الْمَعْنَوِيُّ الْعَفِيفُ، وَفِيهِ يُصَوِّرُ مَشَاعِرَهُ الْمَلْتَمِيَّةَ، وَعَوَاطِفَهُ الْحَرَاقَةَ، وَيَصِفُ مَا لِلْحُبِّ وَالْهِيَامِ مِنْ تَأْثِيرٍ فِي نَفْسِهِ وَجَسَدِهِ.

ثَانِيًا: الْغَزْلُ الْجَسَدِيُّ، بِنَوْعَيْهِ: الْجَسَدِيُّ الْفَاحِشِ الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى سَرْدٍ لِقِصَصِ جِنْسِيَّةٍ فَاضِحَةٍ، وَمُغَامَرَاتِ جَسَدِيَّةٍ مُتَهَكِّكَةٍ مَعَ الْمَحْبُوبَةِ، وَالْغَزْلُ الْجَسَدِيُّ غَيْرِ الْفَاحِشِ الَّذِي يَدُورُ حَوْلَ جَسَدِ الْمَحْبُوبَةِ، وَيَصِفُهُ وَصَفًا مَادِّيًّا، وَيُصَوِّرُ مَفَاتِنَهُ، مِنْ غَيْرِ الْوُصُولِ إِلَى مَرَحَلَةِ التَّهْتِكِ وَالْخَلَاعَةِ، وَالْإِسْفَافِ الَّذِي يَخْدِشُ الْحَيَاءَ، وَلَا يَتَلَاءَمُ مَعَ الدَّقِّ الْعَامِّ وَلَا يُنَاسِبُهُ.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- ابن جعفر، قدامة: نقد الشعر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت: دارالكتب العلمية، (د.ت).
ابن حزم، الأندلسي: طوق الحمامة في الألفة والألاف، تح: إحسان عباس، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1993.
الحُصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي القيرواني: زهر الآداب وثمر الألباب، تفصيل وضبط وشرح زكي مبارك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، بيروت: دار الجيل، 1972.
الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي: معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز الجُندي، ط1، بيروت: دارالكتب العلمية، 1990.
ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي: العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، بيروت: دار الجيل، 1972.
العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، تح: مفيد قميحة، ط1، بيروت: دارالكتب العلمية، 1981.
ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء، بيروت: دار الثقافة، 1964.
مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، ط2، استانبول: المكتبة الإسلامية، 1972.
ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، القاهرة: دار الحديث، 2003.
الوأواء، أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني الدمشقي: ديوانه، تح: سامي الدّهان، ط2، بيروت: دار صادر، 1993.
- ### ثانياً: المراجع:
- بيومي، محمد: قصص القرآن دروس وعبر لل دعوة والدعاة، ط1، المنصورة: مكتبة الإيمان، 2006.
الجواري، أحمد عبد الستار: الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري، بيروت: مطابع دار الكشف، 1956.
الشكعة، مصطفى: فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، القاهرة: مطبعة المعرفة، 1958.
عبد الجابر، سعود محمود: الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1981.
هدارة، محمد مصطفى: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، القاهرة: دار المعارف، 1963.